

احمد الصافي النجفي

احمد الصافي النجفي .. عالم حر

بقلم الدكتور جلال الخياط

* * *

ندرس بعض الشعراء على انهم مقلدون وآخرين على انهم مجددون ، وبين التقليد والتجديد والقديم والحديث دارت دراساتنا الادبية والنقدية ، الا ان هناك ظاهرة مشرقة تتأبى هذا التقييم النقدي يمثلها الشاعر احمد الصافي النجفي (١) فهو ليس بمقلد ولا مجدد وهو ليس بقديم او حديث ولا يمكن ان ينضوي تحت لواء هذه المدرسة او تلك ، هو شاعر وفارس او شيء ما بين هذا وذاك ، كان وما يزال نسيج وحده ، وهنا تكمن اهميته الادبية ، ورجلا له قدر من الشجاعة استطاع به ان يتحدى عصره وان يجوب في مفازات غريبة غير مطروقة ، ولقد اكد النقاد ومن كتبوا عنه على هذه الناحية البارزة فيه التي تعزله عن الذين عاصروه ، ويرى الشاعر رشيد سليم الخوري : « ان شعر الصافي دنيا من الفن قائمة بذاتها ، ولا ضريب له في موضوعاته البسيطة وصوره الجميلة ومعانيه الساخرة » (٢) ، ويقول عنه الدكتور عبد الواحد لؤلؤة في مقالة له بعنوان البطولة والتشرد عند احمد الصافي النجفي : « وشبه يقين بانه قد احرز انجازات تميزه عن كثير من ابناء جيله » (٣) .

« وجد الصافي نفسه شاعرا بالصدفة ـ على حد اعترافه ـ فقرر ان يبقى شاعرا » (٤) ، بالرغم من ان الزهاوي كان قد ادعى انه اول من اكتشف الصافي : « واني لمفتخر باني اول من اكتشف هذا النجم الجديد ودل عليه هواة الادب العصري » (٥) ، والغرابة اول ما يمكن ان يلاحظه القارىء في دواوين الشاعر العشرة ، فالصافي يحب الحيوانات لانه يؤمن بأنها اكثر وفاء من الانسان وأقل لؤما :

احب الكلب واسم الكلب بل من   دعاه الناس عند السب كلبا

ويشبه نفسه بالبعوضة والفيل :

بعوضة انا في الدنيا وحين ارى   بعض الورى فكأنني بينهم فيل

وله قصائد اخرى في الحيوانات ، كلها ثناء عاطر عليها ، من وصف لمملكة الحيوان ، ورثاء لكلب ، ونواح على ديك ، ومحاورة بين البق والبرغوث ، في حين ان زملاء الشاعر كانوا منغمرين او مندهشين بالمخترعات الحديثة التي وصفوها باعجاب او متنقلين من محفل الى آخر يلقون قصائدهم الخطابية النارية التي كانت تؤجج حماس الناس الوقتي فيصفقون لها كثيرا ويستعيدون أبياتها مرة واخرى .

ان هذا الشاعر وحيد ، غريب ، ذو شخصية منفردة لا يحب الناس ولا يثق بهم بالرغم من ارتياده المقاهي ليلا ونهارا :

يبعدني طبع عن الناس نافر   فأحسبني بين الورى جالساوحدي

ولم يتخذ له صديقا في هذه الحياة بالرغم من الآلاف الذين جالسهم في مقاهيه ومظانه : « لي بنفسي غنى عن الكائنات » ، فلا يجد مفرا من مصاحبة نفسه ومصادقتها :

انا بين الورى غريب وما لي   غير نفسي من صاحب في الحياة

ونفوره من الناس وابتعاده عنهم يحبب اليه اليأس فيمدحه . ويقينا ان شاعرا آخر لم يفكر يوما بان يطري محاسن اليأس ويستلطف جماله :

ما اجمل اليأس يعطي   لنفسي استقلالا
اذ ليس يبقى لنفسي   بالكائنات اتصالا

الا انه يشكو الوحدة بالرغم من ذلك ويرحب باللصوص الذين يدخلون داره :

افرطت وحدتي ببيتي حتى   احسب اللص زائرا محبوبا

وهو شديد الفخر بنفسه معتزا بها كل الاعتزاز كفارس من فرسان القرون الوسطى ذي مثل وعادات لا يمكن ان يفرط فيها ، ولقد اعاد في بعض قصائده سيرة دون كيشوت التي ابتدعها سرفانتس في الفروسية :

سموت بشعري فوق جيلي ولم يزل   يشك بشعري معشر البلهاء

ويؤمن ان شاعريته فاقت ذاك الذي ملأ الدنيا وشغل الناس :

في الشعر قدما قد اتى متنبي   وشعاع شعري للتنبؤ ماح

ويقول انه انسان متفوق دون الناس جميعا ويستعمل الكلمة الانكليزية ليعبر عن ذلك :

قد ارتقت نفسي « لسوبرمن »   بين اناس لم تزل ناسا

ولقد اكثر شعراء آخرون كالرصافي والزهاوي من معالجة المشكلة الكبرى : الفقر ، بقصائد مطولة كثيرة يصفون فيها آلام الارملة واليتيم ، الا ان للصافي رأيا خاصا فوريا في القضاء على مشكلة الفقر هو ان يخصى كل فقير كيلا ينجب نسلا يعاني الفاقة :

كم غني لم يعطه الله نسلا   وفقير يبلى بنسل كثير
فلو ان الامور كانت بكفي   كنت اخصي في الكون كل فقير

ولانه مفلس دائمي اذ لم يتخذ له مهنة او وظيفة واعتمد على دواوينه وما تدر من ربح ـ خلافا لفريق من الشعراء الذين عاصروه وتاجروا بأشعارهم وآرائهم في سوق المدائح ـ فقد اكثر من الحديث عن المعوزين والشحاذين :

ومقهى قد جلست به وعقلي   من الافلاس قد بلغ الجنونا
ارجي الرزق من ربي ولكن   ارى الشحاذ نحوي مقبلينا
امد الى الاله يدا واخرى   ارد بها جيوش السائلينا
وكم احمق فيهم دعاني   اميرا فامتلى قلبي شجونا
دعاني بالامير وكنت اولى   بأن ادعى امير المفلسينا
وكم من جاهل فيهم اتاني   يجر بناته تلو البنينا
ينادي قد عجزت فاطعموا لي   صغاري ان تكونوا راحمينا
فقلت عجزت عن شغل ولكن   قويت على ولادتك المئينا
ومن ينسل كنسلك دون شك   يصبه العجز او يلق المنونا
فليت تطيق شغلا في نهار   وشغل الليل تعجز عنه حينا
فصرتم ان رآكم اجنبي   يقل هذي بلاد السائلينا

ولم تقتصر الغرابة على موضوعات شعره وحدها بل حصل له في حياته ما يفوقها غرابة من انه بعد ثورة العشرين في العراق هرب الى الكويت واشتغل عامل بناء يحمل الجص والطابوق ، فثقلت عليه الحياة وقرر الذهاب الى ايران عن طريق النهر الا ان الزورق الذي اقله تحطم في الخليج ، والشاعر لا يعرف السباحة فأرسلت العناية الالهية اليه صندوق شاي خشبي كان في الزورق فتعلق به الشاعر حتى ادركته النجدة وانقذته من غرق محقق (٦)

لقد نظم هذا الشاعر في اي موضوع خطر على باله فطغت النثرية على قسم من اشعاره وذهب مارون عبود الى : « أن شعر الصافي ينقصه كثير من الدم فهو بحاجة الى كمية وافرة من زيت السمك » (٧) ، ولعله قصد بذلك النثرية التي حتمها الجولان في كل ما هب عند الصافي ودب من افكار ، واظن اننا لو قمنا باحصاء لعدد الموضوعات التي نظم بها الشعراء العرب والاجانب لفاقت موضوعات الصافي ما عداه من الشعراء لتنوعها وشمولها فهو لايعترف باغراض الشعر القديمة المعروفة من مدح ورثاء وغزل وهجاء ، ومن هذا المنطق وحده يمكن ان نعتبر الصافي رائدا للشعر الحر ! الا ان اكثر موضوعاته مفرقة في الغرابة ، لم يطرقها سابق أو لاحق ، منها انه يدعو الله ان يشوه جميع النساء حتى لا يقع في غرامهن :

يا رب شوه لي وجوه الغيد   كيلا اعذب منهم بصدود

ويصف شحاذا وصباغ احذية ويهجو عمال المطابع والمصححين لكثرة الاخطاء المطبعية في دواوينه ، ويكره البرلمانات ويهنىء ملك بريطانيا حين تخلى عن العرش ليتزوج امراة مطلقة ، ويتحدث عن حلاق ، ويقول واصفا عجوزا :

يا عجوزا هي للاناف جيفة   ولعزرائيل في الارض خليفة
هي لولا القبح ما كانت عفيفة   فهي رغم الانف عذراء شريفة

ان حكت فلسفة لا تعجبوا   قبحها صير منها فيلسوفة

ويبكي على ديك ذبحه واكله ثم ندم على ذلك ، وحتى الشورباء والقنابل الذرية وجدت مكانا في شعره ، ومن أغرب ما وجدت في دواوينه انه ينظم الشعر وهو نائم وقد جاء احد ابياته بالشكل الآتي :

الشطر الاول :

عثرت بنا رجل السعادة حينا

الشطر الثاني :

« وقد نسي الناظم بقية البيت حين استيقظ »

ان الصافي النجفي ليس شاعرا مقلدا فقد كتب بهذه الموضوعات التي لم يسبق اليها ، وهو غير قابل ان يقلد فموضوعاته خاصة به ، ولقد كانت غرابة موضوعاته رد فعل لموجة التقليد والنفاق التي سادت الشعر في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، وصورة تعكس حياته الوحيدة المشردة فقد كان مضطربا بين البداوة والحضارة والقيم القديمة والوافدة ، لم يستمد قوته من قبيلة او حكومة او حزب ، ولم يتحدث الى الجماهير شاعرا خطيبا ، ولم يمدح الكبار ، ولم يدع الفلسفة ، ولم يدع الى الاصلاح الاجتماعي ، وقد ذكر الشاعر نفسه سببا لعزوفه عن التقليد :

حماني من التقليد ما عشت انني   اذا رمت امرا لم اجد من اقلد

وبين رأيه في شعره المستقل بهذين البيتين :

لي في الشعر عالم مستقل   انا منه فرد بدون خلاف
لم اشارك غيري لانني كربي   واحد لا شريك لي في القوافي

الصافي مرآة نفسه وحياته فهو خير مثال عفوي على نوع خاص من اللامنتمين ، وقد تنبه الشاعر الى هذه الحال فقال :

انا في الشعر كالغريب فجيلي   في عكاظ او بعد ذا العصر جيلي

ولم يكن الصافي مجددا ، ولم يدع هو التجديد ، اذ انه لم يبتدع طريقة جديدة في نظم الشعر ، وما كان له ، الا ان غرابة موضوعاته وجرأته في تناولها عزلته عن الآخرين وميزته بين الشعراء ، واعماله الادبية نفور عما هو معتاد وشذوذ ظاهر له طرافته .

ان غرابة هذه الموضوعات اكسبت الشاعر طابعا مستقلا متطرفا فهو من اوائل الشعراء الذين استقلوا

---

(١) ولد سنة ١٨٩٧ في النجف الاشرف ، وهو يزاول نشاطه الادبي اليوم موكلا بفضاء الله يذرعه ما بين سوريا ولبنان . (٢) انظر احمد الصافي النجفي ، اللفحات ، بيروت ١٩٥٥ ، ص٣. (٣) عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة « العاملون في النفط » ، العدد ٤٥ ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٩. (٤) المصدر السابق ، ص٩. (٥) تركي كاظم جودة، احمد الصافي النجفي ـ حياته وشعره ، بغداد ١٩٦٧ ، ص٤٥ . (٦) المصدر السابق ص ٢٩ وما بعدها (٧) مارون عبود ، على المحك، بيروت ١٩٤٦ ، ص ٥٥ ، (٨) ناصر الحاني ، ملحق جريدة الجمهورية الادبي ، العدد ٨٤ ، بغداد ١٩٦٧ ، ص١ . (٩) احمد الصافي النجفي، اشعة ملونة ، بيروت ، بلا تاريخ ، مقدمة بقلم الياس ابو شبكة، ص٤ (١٠) احمد الصافي النجفي ، التيار ، دمشق ١٩٦٤ ، مقدمة بقلم منير القاضي، ص٥ . (١١) عبد الواحد لؤلؤة ، العاملون في النفط، ص٢١.

من شعر الطارئة

شمخت وانت احقر مـن حقيـر   وصرت مـن الهرير الـى الزئير
وابطـرك انتصارك ليس فيـه   سوى معنى الوقوف علـى الشفير
جنيت عـلى مصيرك غيـر دار   وكـم لبس الردى ثـوب العبيـر
رأيت البطل يعلـو ثـم يهـوي   بصاحبه الـى الـدرك الاخيـر
ربيـب السوط لا تفـرح فانـا   جمعنـا لـؤلـؤ العقد النثيـر
بشير الصبح هـز العرب هـزا   فمـا احلاك يـا وجـه البشيـر
توحـد رأينـا بعـد اختلاف   والـف صفنـا صـوت النفيـر
اخي في الجرح هل يشجيك دمعي   وهل يعنيك فـي الجلى هديـري ؟
تشابـه دربنـا سهـلا ووعـرا   ولـم يخرج مصيرك عـن مصيري
لئـن شرقت او غـربت سعبـا   فـدار الاهـل آخـرة المسيـر
مصاب القـدس ايقظ كـل غـاف   فهـلا قمت يـا غافـي الضمير
عـدوك لا يقـر لـه قـرار   وانـت تغـط فـي نـوم قرير
تساوى في الجنايـة مـن توانـى   ومـن اغضى عـن الواني الظهير
ومـن والـى الدخيل بغير اجـر   ومـن والاه بالاجـر الكبيـر
زفيـر اللاجئين الـى الثريـا   الا يهتـز قلبـك للزفيـر ؟
اذا لـم تنسحب ارجـا وظـلا   فـلا تـك بينهم لفـح الهجيـر
ليفـدي المجـد ان تقسو عليهـم   وانـت وان كرهت من العشيـر
اذا شـاع الحريـق ببيت جـار   فبيتك قـد يصير الـى السعير
ومن يخذل اخـاه فـي الرزايـا   يظل علـى الزمـان بـلا نصير

اخي فـي الجرح لا نعذل كبيـرا   ولا ننـف الملامـة عـن صغيـر
جميع العـرب مسؤولون عمـا   الـم بحرمـة الوطـن الاثيـر
اتينـا بالعـدو الـى حمانـا   ونمنـا هانئين علـى الحرير
تنازعنا علـى السفساف غـنـى   مطامعـه فجـاع الـى الكثيـر
يمينـا لـو رأى منـا اتحـادا   لخارت ركبتـاه مـن الصفير
يقولـون السلاح فقلت انـا   لنغنـى باليسيـر عـن الغزيـر
اذا لـم يشـدد الايمان كفـا   نبـا سيف الامير بـن الاميـر
سكون البحـر يملؤنـا خشوعـا   ولا نعنـي بثرثـرة الغديـر

شباب الوثبـة الكبرى سـلام   لانتـم معقـد الامـل النضيـر
قلـوب العرب حائمـة عليكـم   تحيط خطاكـم باسـم القديـر
طوينا صفحـة الماضي ، فهـلا   فتحتم صفحـة اليـوم المنيـر
سنبقى مضغـة التاريخ حتـى   نطهـر ارضنـا مـن كـل نيـر

بوانس ايرس ــ الارجنتين   زكي قنصل

بأنفسهم ووقفوا على ارجلهم دون ان يستجدوا عونا من الآخرين ، ولم يتبعوا مذهبا ادبيا خاصا او ينضووا تحت لواء مدرسة معينة ، ويشيد الدكتور ناصر الحاني بشعر الصافي ولغته المبسطة : « فلقد وجدتني اعيش بعالم شاعر انماز بصفات لم نرها في الذين عودنا على الاستماع اليهم او العيش معهم من معاصريه ، انه فريد حقا بما اوتي من لغة ، لا تكاد تتنكر منها كلمة لانها مما الفنا وسمعنا » (٨) ، ولقد امتاز شعره : « بوضوح الفكرة وسهولة الاداء وصدق الحس وقربه من الطبيعة » (٩) ، « وخلوه من التعقيد » (١٠) ، « ان الصافي سوف يعيش بقية عمره متشردا يحلم بالبطولة » (١١) ، فتحية الى هذا الشاعر البطل الذي ضرب للشعراء مثلا يحتذى في الاستقلال الشخصي .

بغداد   جلال الخياط



سعد صائب

نظير زيتون.. مترجماً

بقلم سعد صائب

* * *

ثمة اسطورة رواها الاغريق ، اود وانا انفضها لكم لو ترتقم على خواطركم ، لتروا ان حال فقيدنا التي درج عليها خلال الاعوام التي امضاها مفتربا في وطنه ، تبين عن انه كان يعيش الاسطورة ، ويحيا مضمـونها ...

يحكي الاغريق ان « الفينق Phenix » كما يسمونه هم ، و « العنقاء » كما تسميه العرب طائر خرافي يقطن الصحارى العربية ، ويعمر اجيالا عديدة .. وكان اذا شعر بدنو اجله ، بنى عشه بغصون يطينها بالطيب ، ويعرضها لحرارة الشمس ، فتلتهب ويحرق نفسه حيا فيها ... ثم تتكون من رماده شرنقة تنشق عن « فينق » جديد يحمل بقايا ابيه الى « هليوبوليس ـ بعلبك » ليضعها فـي هيكـل الشمس ...

لكاني بهذه الاسطورة لم ترو الا لفقيدنا ، وكاني بالاغريق عنوه حين ابتدعوها ... او لم ينبئنا بحديث ادلى به يوما حين خير بيـن العودة الى البرازيل او الاستقرار في وطنه ، انه يختار العودة ؟ او لم يقل في تواضع جم ينطوي على اسى وحسرة « ... لأن في وطني مئات مثلي ، ومن هم اعلى شأنا مني .. امـا فـي البرازيل فالامر بالعكس ... لقد قضيت في الوطن اكثر من عشر سنوات ، كنت في غضونها مشلول الحركة ، في مثل الجدب والجفاف والارض القفر .. كنت شبه ضائع ، تائه الخطى ، بل شبه رجل جائع متهدم يلتهـم لحمه ، يلتهم نفسه ، وينقض كيانه حجرا حجرا ، فلا انا انا ، ولا هذا السبيل سبيلي ... وكنت ارضى لنفسي ان تحترق تحت حـرارة الشمس لاولد ولادة جديدة من رمادي ، كما تحترق « العنقاء » لتولد من رمادها نفسه في الاسطورة المشهورة .

أجيلوا الرأي مليا في هذه الزفرة الصاعدة ، او هـذه الشكاة المريرة ، التي فاض بها قلب فقيدنا الكبير ، ألا يناسمكم شعـور ان نفسه كانت تحترق حقا تحت لهيب شمسنا ، كيما تولد من رمادهـا ثانية ؟ وانه كان يتحرق ويتضرم من تغربه وضياعه في وطنه الذي فاء اليه جذلان ، بعد هجرة امتدت سبعة وثلاثين عاما ؟.

والسؤال الذي لا بد لي من طرحه هنا : ما الذي ولدته هـذه النفس الخيرة لاجيالنا القادمة ؟ .. ماذا وضعت في هيكلنا المقدس ، قبل ان ضاعت وجاعت وتهدمت ثم ما لبثت ان احترقت بلهيب شمسنا فأمست رمادا ؟ .. ماذا وهبت للغتنا ، لادبنا ، لتراثنا ؟؟ ...

ليس لي على الجواب قدرة في هذه الهنيهة ، الا مـا خصصت بالحديث عن الترجمة كما أداها الفقيد ، بيد اني ارى لزاما علي ان أستهل كلمتي منوها بما تتشوق نفوسكم الى معرفته والاطلاع عليه ، اعني رأيي في اختلاف اسلوبه في الكتابة عنه في الترجمة ، لا سيما وقد كان له حظ في كليهما بسق فيه ..

ولعلكم تتساءلون بينكم وبين انفسكم فيم اساغ هذا النمط الذي درج عليه في كتاباته ، ولم يسفه في ترجمته ؟ ... فيم لم يعدل عن « السجع » وكانت له مندوحة عن استعماله ؟ ... الم يكن عنده من الطبع ما لو ارسله على سجيته ـ كما فعل في ترجماته ـ لجرى مجرى الماء ، ورق رقة الهواء ؟ ...

الحق اقول جوابا على تساؤلكم ، ان فقيدنا ما نسج على منوال « السجع » الذي طالعتموه في آثاره ، الا لانه كان شديد الغار على لغته ، شديد الحرص على اصالتها ، فما ان تمكن منها حتى اسلست له فأخذ قلمه ينبض ببلاغتها ، وراح قلبه يهزج بها ، فكانت له كما قال بحق : « تجربة في السجع المديد المتناغم الذي تؤلف فيه السجعة الواحدة مقطعا كبيرا وكأنه مقطع قصيدة واحدة » ...

ومهما قيل في انه كان يحتذي في هذه التجربة مثال القدامى مـن كتابنا وادبائنا ، فحسبها انها جاءت منه صادقة ترتاح اليها نفس كل من روض لسانه على الصواب ، وسكن اليه قلبه ... وحسبها كذلك انها نابعة من غيرته ، من حرصه ... نابعة من نزاهة نفسه ، من ذوقه، من تمكنه ، ولم يكن فيها مقلدا او مقتديا .. فكان لالفاظه الجزلة في الاذن نغمة لذيذة كنغمة الاوتار ، وكانت له في كلامه البليغ بهجـة رائقة لم نعتدها في كلام المعاصرين من كتابنا وادبائنا ... هـي اذن تجربة ادبية جريئة جديدة ،عاناها فقيدنا بعمق ، اغترفها من معين قلبه ، واستمدها من عفو هواجسه ، شاء لها ان تلائم بين اماله في تجديد السجع ، وبين قدرته على ارساله ارسال الامن المطمئن ، فجاءت الفاظه فصيحة ، والفصاحة مـن طبيعته ، وتتالت مبينة ، والبيان سجية من سجاياه ، مؤكدا فيها ان كل اسلوب فصيح جزل متين ، صالح لان يكون مادة لفن الادب ما دام نابعا من تجربة يحياها الكاتب ويحسها ... يحسها لاجل ذاتها ، ويوصلها الى قارئه في الصورة التي ابدعها .

لم يثرني على ابداء هذا الرأي ما وجب علي من الحق في مودة فقيدنا ، بل أثارني عليه اعجابي الغامر بحسن تجاور الفاظه وبلاغتها ، ووضعه كل كلمة في موضعها ، وملاءمته بينها ، بحيث انتظمت لـه معانيها ... ومبعث هذا كله يرجع الى صدقه في التعبير عن نفسه من نحو ، وجدة مذهبه الذي ارتضاه لاسلوبه ، وصحة طبعه فيه من نحو اخر ، هادفا بهذا الصدق ، وتلك الجدة الى تقليب القـارىء العربي من فن الى فن لئلا ينسى لغته ، في زمن اضحت لغتنا فيـه منسية ، لكثرة من مالوا بها الى العامية ، من قعدت بهم الفصاحة ،

(*) كلمة القيت في الحفلة التي اقيمت فـي « نادي الرابطة الاخوية الجديد بحمص » مساء يوم الجمعة ١ ـ ٩ ـ ١٩٦٧ بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة الاديب نظير زيتون .

وكثرة من مالوا بها الى الكذب ، من قعد بهم الصدق ...

اما اسلوبه في الترجمة فقد دل فيه فقيدنا على موهبة وقدرة على التعبير السهل ، اضافهما الى موهبته ، وقدرته في الكتابة والانشاء . ولئن نحا فيه منحى اخر يغاير ما ألفناه في اسلوبه الكتابي فلانه راعى النص الذي ينقل عنه ، حفاظا على الامانة التي لا بد ان يحملها كل من يتصدى لنقل أثر من لغة اجنبية الى لغته الاصلية ، كما تجنب مراعاة لهذه الامانة كل ما يكسب الترجمة تعمية او غموضا او انحرافا عن المعنى الذي قصد اليه واضع الاثر .. ولو شاء لعمد الى السجع ، بيد انه تنحى عنه ، ناهجا نهج القلة القليلة من مترجمينا الافذاذ امثال « الزيات ، ومحمد عوض محمد ، والمازني » وسواهم من الغيارى على مجدهم الادبي ، الحريصين على اصالة لغتهم الذين امتازت ترجماتهم باسلوبها الجميل ، وفصاحة كلامها وسهولة لفظها ، وبهجة عبارتها .. وهي خصلة اعوزت الكثيرين ممن يتصدون اليوم لنقل الاثار الاجنبية الى لغتنا .. واخال ان « المازني » كان — من بين اولئك الرواد الفحول — كفاء لفقيدنا في الترجمة ، لانه كما وصفه العقاد : « يترجم النثر في اسلوب كاسلوب الجاحظ وخالد بن صفوان ، ويترجم الشعر في اسلوب كاسلوب البحتري والشريف الرضي » .

ولو اطلع « العقاد » على ترجمة فقيدنا لما زاد على ما وصف به المازني ... ولعل مأتى براعته فيها ، فهمهاسرار الترجمة التي « ليست مجرد نقل فحسب ، بل هي في الحق خلق جديد . وليست عملية الخلق هذه بمقتصرة على عالم الاصل ، بل هي كذلك في عالم التلقي » وابلغ ما يطلب النجاح في مثل هذه الحال « المعايشة والتجاوب والمشاركة ، والحرص على نقل روح المؤلف الى اللغة المراد الترجمة اليها » ... « ومن البدهيات ان الترجمة تبعدنا عن الروح الاصيل للنص المترجم ، ولكن بقدر ما يكون المترجم امينا يستطيع ان يقربنا من هذه الروح . ومن هنا تتحدد مهارة المترجم » فالمحك لمهارته ، هو امانته وحرصه على روح النص من نحو ، ومحاولته نقل هذه الروح الينا في أسلوب نفهمه من نحو اخر . ولقد وقعت في حوزي رواية « اعتراف » للكاتب الروسي « مكسيم غوركي » التي نقلها فقيدنا الى العربية ، فتباشرت بها وابتهجت ، ورحت التهمها مستغرقا في قراءة صفحاتها . ولكم استفزتني غبطة حين وازن صديق اديب يتقن الانكليزية بين النص العربي والنص الانكليزي ، وانباني ان مترجمنا الامين كان حريصا اشد الحرص على روح النص ، لم يمل عن مدرجته ، ولا خرج عن معناه ، وزادعليه حرصه على استلهام روح المؤلف نفسه وفهمه هذه الروح فجاءت الترجمة العربية وكانها منقولة عن الاصل لا عن لغة ثانية ...

ولئن ذكروا ان الشاعر الالماني غوته اطلع في اخر ايامه على ترجمة فرنسية لرائعته « فوست » اصدرها الشاعر الفرنسي المعروف جيرار دونرفال فاعلن عن رضاه عنها ، واعجابه بها ، وقال لبعض محدثيه انه منذ سنين لا يحب ان يقرأ « فوست » في الالمانية ، وان هذه الترجمة الفرنسية قد حببت اليه النظر في هذا الكتاب .. فانني على يقين ان لو قدر لمكسيم غوركي ان يعيش الى هذا العصر ، وان يتقن العربية ، ويطلع على روايته في ثوبها العربي القشيب ، لقال في ترجمتنا مثل ما قاله غوته في ترجمة جيرار دونرفال ..

وعندي ان مدار حذقه فيها ومستقر تجويده ، أنه شغل في طلب اللغات باله كما شغله في طلب لغته ، فوقف على اسرارها ، وعرف خفاياها ، وتمثل روحها ، غير ال جهدا ولا مستفرغا وسعا في الاغتراف من معينها الثر وينبوعها العذب ... ولقد غلبه منذ شبابه حب اللغات كما غلبه حب لغته ، فأتقن البرتغالية والاسبانية والانكليزية والم بالفرنسية ، فنفذ الى لبابها ، وغاص في اغوار اثارها الادبية ، وتمرس في نقل روائعها (1) بخاصة حين تولى تحرير جريدة « فتى لبنان » في البرازيل عام ١٩٢٦

وها أنذا اورد لكم نبذا اخترتها من بعض ابواب هذه الرواية التي سماها « أين الله — او — اعترافات ابن الشعب » لتستدلوا بها على اسلوب فقيدنا في الترجمة الذي اسلس له ، وتستبينوا منهجه في اختيار الفاظه التي ينفش لها فؤاد قارئه ، وترف نفسه الى سهولتها وجزالتها ، وعذوبة جرسها ، بحيث اضحت اشد ما تكون صلة بفن الترجمة الجميل ....

يقول في الفصل الثامن على لسان « ماتفي » بطل الرواية : «كان بين المدينة والدير مسافة ثلاثين فرسخا ، فجددت في السير ، وفي صباح اليوم التالي كنت هناك اسمع القداس الذي حضرته جماهير لا تحصى ... كان الدير غنيا ، والراهبات كثيرات ، وكان الكاهن يتلو الصلوات بسرعة كمن يقوم بفرض لا مهرب منه .. وكانت الراهبات اللواتي يؤلفن الخورس مشرقات الوجوه ذوات قسامة ووسامة ، وقد ارتحت كل الارتياح الى ترتيلهن الجميل الذي يصعد بالنفس الى الاعالي .. وكانت الشموع تذرف دموعا بيضاء كانها تبكي الشعب » .

ويقول في « الفصل الخامس عشر » : « عندما رأيت الشرائع مخروقة الحرمة ، والبشر يعيثون فسادا فقدت سلامي الداخلي واضطربت روحي . ثم عزمت على مغادرة عملي فسلمت متاجري لابنائي وضربت في الارض هائما على وجهي ، متنقلا من مكان الى اخر ... وها قد مضى علي الآن اربع سنوات اشرقت فيها واغربت فرأيت حتى ما رأيت ، وسمعت حتى ما سمعت .. لقد اجتاحت جرذان الرذيلة الصرح الديني ، واعملت في دعائم الشريعة اسنانها قضما وقرضا ، وستظل دائبة على عملها حتى تنهار الدعائم وتسقط الجدران فوق ساكني الصرح » ....

ويقول في الفصل الثامن عشر : « ما اجمل الحقول وما احلى الارض التي تطأها اقدامنا مخملية ، وتفترشها وثيرة .. ففي الحقول تبدو الارض مستديرة جلية غير غامضة ، فاذا استلقى المرء فوقها شعر وكأنه توسد صدر امه ، او كانه عاد الى ايام الطفولة ببساطتها وسذاجتها ونقائها .. يستلقي المرء على الاعشاب بين الازاهير والورد فتنتعش قواه بروائحها الذكية ، ويحس وكانه مضطجع على مهدالطفولة فيبتسم وكأن يد النسيم البليل تدغدغه ، ثم تتراءى له عرائس الغابات ، وحوريات الليل راقصة حوله عازفة منشدة اغاني الحياة وترانيم الجمال والفن وتنفتح امام باصرته كوى السعادة غير المتناهية ويشاهد كوثر الحب ، ويسمع خريره الرقيق ... اذا ما افاق من نومه خجل ان يطأ الارض التي افترشها واقبل على الاعشاب والازاهير وسائر النباتات التي كست الارض حلتها الخضراء يشبعها تقبيلا ...

ما اجمل الحياة في الخلاء ، في الحقول ، في الهواء الطلق ، لا يصد هبوبه حاجز ولايقف في وجهه سد ... ما احسن الارض ، يتكيء عليها المرء فيشعر وكانه متكيء على صدر حبيب يغار عليه ، ويشكو اليه ما يجول في صدره فيصيح : «مباركة انت ايتها الارض الحبيبة » ...

ذلك هو اسلوبه في الترجمة ، لا اخاله الا وسكر آذانكم بحلاوته ونعش ارواحكم بسهولته ، واسترق قلوبكم بحسنه . وتلك لعمري اجادة لا تواتي الا من كانت له معرفة تامة باللغتين ، وطبع جواد

(1) للفقيد كتب اخرى مترجمة منها رواية « النبي الابيض » للروائي الانكليزي هول كاين تدور احداثها حول نضال مصر في عهد الخديوية ... ورواية «مركيزة سنطوس » للمؤرخ الروائي البرازيلي الدكتور باولو سيتوبال تدور حوادثها حول انتفاضة البرازيل واعلان استقلالها عن البرتغال ... ورواية « ارلندا المناضلة » تشرح الحركات الثورية التي قامت بها المنظمات الارلندية في سبيل استقلالها عن التاج البريطاني ... ومنها « فلسطين العربية » وهي مجموعة دراسات وآراء حرة لكتاب انكليز ...



نحن قلبان توأمان

في ذكرى المأسوف عليه نظير زيتون في حمص

★ ★ ★

عقدت حمص للفقيد الكبير ... مأتما قد عقدته في ضميري
ودعتني الى رثاء فتاها ... أفأرثي مصيره أم مصيري ؟
نحن قلبان توأمان ، وقانا ... من جفاء النوى عناق الشعور
كنت أحيا على رجاء لقاه ... صرت أحيا على نداء الحفير
حبه كان واحة ظللتني ... وشفتني من الظمأ في الهجير
وارتني كيف اليراع يصلي ... ويجلي على بيان العصور
ثكلته أم اللغات فسالت ... أدمع الضاد من جفون العشير
كان خلف البحار كنز الجوالي ... فقدا في الديار كنز القبور
لن اعزي به ولن اتعزى ... ألم الخطب فوق صبر الصبور
يا نظيري في غربتي ومآبي ... ما أمر الحياة دون (نظير)

فيشي ـ فرنسا

جورج صيدح

بالكتابة في لغته ... ولست اشك في ان معرفة فقيدنا التي حازها ، وطبعه الجواد الذي فطر عليه ، يدحضان رأي الجاحظ القائل ، « ان اللغتين اذا التقتا في اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها » . اذ نرى العربية والانكليزية قد التقتا في لسانه ، فلم تدخل احداهما الضيم على صاحبتها ، بل سارتا في قرن واحد وهما اشد ما تكونان تآخيا ومحبة ...

وبعد ... لقد كان فقيدنا من جلة كتابنا ، وأئمة ادبنا المعاصر ، له فنون من القول ما جاراه فيها اديب ، ولا ماثله فيها كاتب ... هوى لغته الهوى البرح ، وعشقها العشق المضني ، وبلاها ووقف على اسرارها ، فاستجابت له قريحة فياضة ، وبديهة غزيرة ، وقلب ذكي وريشة سمحة ، فمضى يهزج في بيانه هزج الآمن المطمئن ، لا يتعصى عليه طلب لفظة الا اسلس له ، ولا يلتبس عليه معنى الا فضه ، ولا يند عنه اسلوب الا وجده عند ارادته وحسب بغيته .. اخذ بأزمة الكتابة ونهض بأعبائها ، واستقل بثقلها ، فكان من أبين من نطق لسانا بين كتابنا مقيمين ومغتربين ، على الرغم مما عاناه من ضياع وتحرق ، وما لقيه في حياته من عنت ونكران .. وكأني به وهو يعاني ضياعه وتحرقه ويلاقي عنتنا ونكراننا ، كان يردد بينه وبين نفسه قول شاعرنا :

ازين شقائي بالاباء فانثني ... وبرد هنائي في الحياة منمنم
واحمل الآمي مدلا بحملها ... على الناس .. نعم الفارس المتألم

وليس عجيبا ان يتألم فارس الحرف في بلادنا ، وان يظل مغتربا حتى في وطنه « لان حبه له ، للغته ، لدمه ، اقوى من قيود الزمان ، واعظم من ابعاد المكان ، واسمى من عذاب الحياة » ..

ولئن اخترمت المنية فارسنا الابي الجريء بعد ان أهدف للسبعين فاوجع قلوبنا فقده ، فعزاؤنا انه كان طوال حياته رفيف الاخلاق ، صادق القلب ، جم التواضع ، وانه كان للغته التي احبها ، حافظ فصحاها ، وحامي ذمارها . قام بواجبه نحوها ، فصان بآثاره القيمة تراثها ، وأغنى بترجماته الرائعة ادبها .. وتلك خلال قمينة بأن تثير اعجابنا وتشحذ همم نقادنا ومؤرخي ادبنا المعاصر ، وتحركهم للكتابة عنها ، ليصرفوا عنايتهم اليها ، ويخصوها بالحظوة وينزلوها المنزلة التي تستحقها .

حسبي الساعة وحسبكم ، وقد لفنا المصاب فاورثنا الحزن واللوعة ان نتصبر ونتعزى ، ونأتسي بأمير الشعراء ، حين فجع بشاعر النيل فناح عليه جزعا :

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها ... وامام من نجلت من البلغاء
ما زلت تهتف بالفصيح وفضله ... حتى حميت امانة القدماء

دمشق

سعد صائب

نظير زيتون

فجع الشاعر بالنعي الذي جاءه من حمص يحمل نبأ وفاة صديقه الاديب المهجري الكبير المرحوم نظير زيتون ، فكانت هذه القصيدة التي ارسلها الى حفل تأبين الفقيد بحمص لتلقى نيابة عنه .

★

أيها النازح يوم البرحاء ... انت والله امير الشهداء
ان من مات على ساح النهى ... مثل من مات على ساح اللقاء
أجل يمضي بنا ... ليس لنا ... حيلة فيه اذا حم القضاء
مات بالسيف فريق ... وعلى ... غير متن السيف ماتت فرقاء
ويموت الليث في الغيل ، وفي ... خارج الغيل .. على حد سواء

يا أخي في اللغة الفصحى ، وفي ... نسب كالشمس ممدود الرواء
جمعتنا احرف من عزة ... وخيوط جدلت من كبرياء
ونمانا للمعالي وطن ... ثابت الاساس ، مرفوع البناء
يلتقي المحنة من غير أسى ... ويلاقي الخطب من غير انحناء
صابر في الباس .. ما مالت به ... كفة الياس ، ولا خاب الرجاء
يجد النكسة طاقا للعلا ... ويرى الظلمة بابا للضياء

يا نظيرا .. لم نجد من علمه ... ومجالي خلقه من نظراء
لك في القول بيان مشرق ... وعبارات فصيحات وضاء
فاتن الآداب ان تسجع .. وان ... أنت لم تسجع فشيخ الادباء
لم يخنك اللفظ .. ان تستدعه ... هرع اللفظ ، فلباك ، وجاء
تنزل اللفظة في منزلها ... وتؤديها على خير أداء
لا ترى الالفاظ حشوا زائدا ... أو كلاما يتمطى في الهواء
فاذا سجعك شيء رائع ... تتشهاه نفوس البلغاء

يا معيد السجع من ديواننا ... بعد ما قلنا : على السجع العفاء
أنت شنفت به آذاننا ... فتلفتنا جميعا للوراء
نسمع الماضي الذي كان لنا ... فيه أمجاد ، وفخر ، وعلاء

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

بصوت هادر كالرعد ، كخوار ثور ، كمواء قطة ، كانت الاصوات تتعالى بكلمة واحدة اطفي النور .. اطفي النوورر ... ارجوكم اصمتوا ... اطفأتم انوار الفندق كلها من المولد الرئيسي .. الا يكفي هذا ؟ من يشعل النور في تلك العمارة ... ليطفئه عديم الاحساس .. وتعالت صفارة الانذار معلنة بدء غارة اخرى خفق قلبي بشدة ، قفزت عن السرير .. ما كان يجب ان اخلع ثوبي ... اين حذائي ... اصوات القنابل والمدافع تشتد وتقترب . لايجب اشعال عود كبريت .. أأملكه اولا ؟ يجب ان انزل الى الملجأ ... اسمع اصوات ابواب الغرف الاخرى تفتح وبعضها يغلق بشدة كالاف المطارق . وكانت فتاة تبكي بصوت عال . حتما انها الهام ... لا زالت تبكي منذ بداية الحرب لانها بعيدة عن لبنان .. شعرت بالاشمئزاز .. بالغضب . لن انزل الملجأ ،يكفي اني جائعة ومضطربة ، اطفي النور ياللي هناك .. اطفي . لا زالت الغارة مستمرة على القاهرة ، اشعر بالاختناق ، امسكت باول ثوب تلمسته والقيته على جسدي لكني ادركت انه الازرق بسبب العقدة على الخصر . تحسست ارض الغرفة واختطفت حذائي البسه وخرجت بارتباك اتلمس الحائط بيدي ، بحذائي بجسدي حتى وصلت امام المصعد الذي تحلق حوله العشرات وهم يهمهمون واحدهم يضرب الباب بعصبية يريد النزول فضاق صدري وفضلت ان أنزل الدرج اللولبي من الطابق السابع حنقا .

عندما اصبحت في الشارع وجدت اني استطيع الرؤية بصورة افضل من الغرفة لان النهار لا زال يلملم بقاياه ، لكنني لا زلت اشعر بالاختناق .. ولعل الجو الحار يزيد في هذا ، اود ان اركض ... سرت في الشارع وكنت اسمع افراد الدفاع المدني يصرخون بي ، امشي عالرصيف .. بجانب الحائط ليتركوني وشأني فأنا التي ستموت اخيرا .. وصلت لا ادري اين ... اشعر بالجوع الشديد ، حقا فانا لم آكل منذ الصباح ، لكن الآن جميع المطاعم مقفلة ابوابها وهذا ؟ ياللجشع لازال يبيع الطعمية ، توقفت لاشتري ولكن لما نسيت اني لا احمل معي قرشا واحدا ؟ هذا المفتاح احمل انبيعني به ايها الاحمق ؟

كنت لا ازال اسير وانا اسمع أصوات المدافع ، والمعركة لا زالت مستمرة .. الوجوه كالحة الما ، كل الوجوه ، الاعين تبكي ، وتبكي دما ، لست وحدي من يشعر بالاختناق الجميع يشعرون بهذا ، الجميع يتمنون حمل السلاح ويريدون

الجاسوسة

بقلم سارة ناعورة

التوجه للجبهة . لا يستطيعون .. فلا يجدوا سوى الصراخ مساهمة وتنفيثا .. هذه قاعة سينما قصر النيل ؟ اشعر براحة لانني ابتعدت ولم أعد اسمع صراخا ولا زعيقا .. فجأة انطلقت صفارة الامان حادة طويلة .. تنهدت الصعداء .. ولكن ما الفائدة وبعد نصف ساعة او نصف دقيقة ستقوم غارة اخرى ومعارك اخرى ؟

بدأت اسير على مهل ، الطريق فارغ ، احسست براحة ، راحة

قصة

شديدة .. لكن لما يضايقني الحذاء ؟ لويت قدمي ياه انني البس الفردة اليسرى مكان اليمنى وبالعكس . افتخر دائما برباطة جأشي فأين مني الآن ورباطة الجأش هذه التي تجعلني لا اشعر طوال هذه الطريق بأني اسير بطريقة مزعجة . تنبهت الى نفسي فاصلحت وضع ثوبي قليلا وتحسست شعري المرسل على كتفي ، كان يجب ان اعقده ، سمعت خلفي صوتا يقول :

— الست خائفة ؟ الساعة الثامنة ؟ والغارات ! ما اسمك يا حلو ..

تابع خطاه خلفي ، كاد يلمسني لكني ابتعدت الى الرصيف الآخر تبعني فأسرعت وقلبي يخفق حنقا اسرع خلفي .. يا لثقيل الدم هذا . قررت الا ارد عليه وعدت اسير سيرا طبيعيا لكنه اصبح بجانبي .

— اسكن وحدي

مرت سيارة عسكرية مسلطة نورها الازرق الخافت فاستطعت تمييزه ، طويلا ، نحيلا ذا عينين خبيثتين ، وما ان مضت السيارة حتى اصبحت على الرصيف الآخر . طاردني ايضا .

— قشطة .. يا قشطة .

— بارل تي لا لنغ فرنسيس

— ما بترديش ليه

— يو سبيك انغلش .

قلت في نفسي حمار .. بزاقة .. ابن كلب .. فف

وصرخت به : — اذهب عني للشيطان ايها الوقح .

— حسنا .. لسنا بناس .. مش قد المقام .

اف اخيرا تركني هذا المنحوس كنت قد وصلت المتحف مقابل اوتيل هيلتون وانا في حالة نفسية اسوأ واشعر بتعب شديد .. لا بد اني سرت مسافة طويلة ، لكني تابعت طريقي في شارع مظلم وفجأة وجدت نفسي وجها لوجه مع النيل . عبرت

الكورنيش وجلست على اول مقعد حجري صادفته .

وضعت قدمي على الحاجز امامي اسندها وانا اراقب الافق الغربي الذي لا زال محمرا ، لكن اشعة القمر كانت تطفى على بقية النور فتمتصها وتتكسر على صفحة الماء . كم اشعر برغبة للرسم . اين كنت في تلك الغرفة بل في ذلك السجن الخانق ، هه .. هنا لا دفاع مدني ولا من يحزنون ولا شيء سواي والماء والقمر والسماء .. لاول مرة منذ بدء الحرب اشعر باني افضل حالا مما كنت .. لكم كنت غبية اذ اسجن نفسي ضمن جدران اربعة .

بدات اسمع بعض الخطوات المتلاحقة السريعة وفجأة ارتفع صفير صفارة الانذار متقطعا عاويا رهيبا . ارتبكت لكني لم اتحرك ولم اشعر بالخوف كما في غرفتي . لن افكر الآن اذا كانت القنبلة ستقع فوق رأسي ام لا فعلى الاقل استطيع ان اراها الآن اذا كانت ستسقط فوقي او قربي . ولما افكر بانها ستسقط علي ؟ الا يوجد سواي في القاهرة ؟ ثم ان المدفعية المضادة جد قوية كما اسمع ولا تستطيع اية طائرة اختراق اجواء المدينة . اليوم؟ سمعت ان هدفهم الجسور على النيل .. وانا ؟ على النيل .. بدات الخطوات تقترب مني . لما توقفت بجانبي ؟ اسند احدهم جسده على الحاجز امامي وقال :

ـ مساء النور ..

ـ مساء النور ..

ـ كويس انك بتردي

رباه انه هو .. بعينه الذي كان يطاردني في الشارع ؟ ظننته احد افراد الدفاع المدني . الم يمض لغير عودة .. هذا اللعين تبعني كلص لكن من معه .. شعرت بالخوف .. افضل حل الا ارد ولكن سأنادي تاكسيا . نسيت اني لا احمل سوى هذا المفتاح .. قبضت عليه جيدا . سأدافع عن نفسي لكن اذا وجدت تاكسيا سأدفع له حين وصولي ، لكن اين هو .. ؟ اين هو .

ـ انا ساكن وحدي . الساعة ثمانية ونصف « لسه بدري » .

ـ «حنوصلك بعدين البيت » . ساعتين بس .ما بترديش ليه ؟

وتقدم اخر ورائي وقال وهو يجلس بجانبي :

ـ عندها حالة نفس .

نهضت عن المقعد كمن لسعه ثعبان ومشيت خطوات احاول العودة من حيث اتيت .

الطريق امامي مظلم اكثر من السابق . لا ارى تاكسيا واحدا او انسانا ولكني مشيت وفجأة سمعت ورائي صدى خطوة ، خطوتان ... عدة خطوات

ـ خمسة .. خمسة جنيه مش عاوزه ؟

ـ حد يشارك معايا ؟

ـ قوي .. انا كمان خمسه

ـ كويس يا جلال ... اسمعي بقوا عشرة

ـ طيب نزودهم شوية ؟ مش عاجبك كمان .. طيب بلاش احنا مش عاجبينها ..

ـ بقى اسمعي .. انت حتمشي معانا بخاطرك او لأ .

اسرعت بالسير ، اسرعت الارجل ورائي . توقفت فجأة اذ ادركت انني اسهل هدف في هذا الظلام . توقفت الخطوات .. عدت للسير فعادت فتيقنت انهم يريدونني ان ابتعد اكثر داخل الشارع وفاجئتهم بمروري السريع وانا اعود الى حيث كنت على الكورنيش حيث الظلام اقل وهناك اسرعت بالسير على الرصيف .

طاردتني الخطوات ، صوت القنابل لا زال يتعالى ، اصوات بعيدة جدا تنادي ، اطفي النور ، لم اكن لاجرؤ على النظر خلفي لارى عددهم ولكني كنت على ثقة من انهم ليسوا اقل من اربعة .. ولاول مرة منذ بدء الحرب شعرت بمدى ضعفي وخوفي اريد اي انسان ، اي بوليس ، اي ضوء .. منذ البداية وانا اكره الظلام فكيف اذا كان في مثل هذا الموقف ؟

لا زالت الخطوات والكلمات تلاحقني ولا زلت اسمع من البعيد صدى الانفجارات ، من سيخرج من الملجأ ؟ اي بوليس سيهتم بي في هذه اللحظة سأصرخ .. كيف سأصرخ ؟ اسمع بوضوح صدى كل خطوة من خطواتنا ، لا استطيع الصراخ .. ماذا سأقول ؟ وفجأة بدات أركض ، واركض بكل قوتي ، اكاد ابكي لكنني لا استطيع ... الشارع طويل طويل .. ركضوا ورائي . انتقلت الى الرصيف الاخر كان كل سلاحي ان اركض .

ـ مصطفى لف من هناك .

كنت اركض بكل ما اوتيت من قوة لكنهم اخيرا ادركوني واحاطوا بي وسط الشارع فانسللت من بينهم وتبعوني واحاطوا بي مجددا ... سرت .. ساروا حولي كدائرة .

ـ مش عاوزه تروحي معانا ؟

ـ احنا مش كويسين ؟ مش عاجبينك ؟

امسك احدهم بخصلة من شعري وشدها

ـ كلب

ـ الشعر الحرير

احسست بيدين خلف رقبتي .. اخرى امسكت بيدي ، سحبت يدي بشدة وانا ادفعه واتملص من الاخر لم استطع الصراخ . وفجأة سمعت صوت محرك سيارة وهدر بقوة اكثر ..

ـ جرها للناحية دي وسكر .

دفعت احدهم وركضت ، فجأة سلطت علينا الانوار الزرقاء الخافتة ثم نزل شبح ابيض . انه ضابط بوليس

ـ فيه ايه هناك .

وبار

القصيدة الثانية

★

قد عدت من تلك الطريق
ورويت من ذاك الرحيق
ومضيت في درب المنى أرتاد غايته القصيه
فكشفت من تلك الشوارد كل غامضة خفيه

ان كان طال بي المسير
وكان أصلاني الهجير
فاليوم تدنو روضتي ويلذ لي العذب الزلال
وأجوس في أرجائها متفيئا تلك الظلال

هي روضة عبر القفار
تشتاقها المهج الحرار
طارت أبابيل الاماني فانطوى نجد وواد
لتحط تحسو من ينابيع الرضا غير الثماد

تجسدت خلف السراب
مدينتي ذات القباب
هشت « وبار » لمقدمي واستضحكت أسوارها
وولجت باب مدينتي فتبلجت أسرارها

أبراجها من عسجد
تزدان بالزبرجد
طوفت في ساحاتها بين أساطين الذهب
لانتشي من حسنها بعجب بعد عجب

ها قد دنت بعد البعاد
مدينتي ذات العماد
أمضي مع النور على طرائق من سندس
مسدد الخطو الى محراب قدس أقدس

ويفيض قلبي بالسرور
اذ لا حجاب ولا ستور
واذ الضياء يشع من روحي فيملأ عالمي
ويبدد الظلمات من حولي ويسري في دمي

جاوزت أطباق السماء
وعلوت ما فوق العلاء
وسبحت في فلك يدور فلا زمان ولا مكان
وسموت حتى كان تحتي المشتري والشعريان

اتصلت بحاضرنا العتيد
أحلام ماضينا البعيد
وغدت أماني الامس واقعنا الذي نحياه جهرا
فعرفت بل أفشيت من أمر الهوى ما كان سرا

امتدت لنا كف الحنان
تأسو الذي اجترح الزمان
طابت لنا يا ليتها دامت سويعات النعيم
من بعد أن جزنا الى ميعادها الدرب القديم

الجزائر — جمال مرسي بدر

تنفست الصعداء وصرخ لعين :
ــ انها جاسوسة يهودية .
كنت قد انهرت تماما فلم اشعر بسعادة كبرى ولا اي شيء . فقط عرفت انني اصبحت بأمان ، بدأت دموعي تتدحرج على وجهي . لم يكن لدي ما اقوله .. لانني لم اعثر على كلمة مناسبة ، ماذا سأقول ؟. لم اكن لاستطيع قول اي شيء . ولم اعد ادري أي القنابل اسمع ، اهي داخل رأسي تطرقه ام لا زالت المعركة مع العدو مستمرة في الخارج . ابتعد بي الضابط يحقق معي واحتجت للحظات استعدت بها قدرتي على التفكير والنطق حيث شرحت له ما حدث ، اعطى اوامره بالقبض عليهم وهو يعتذر ولكن .. كانوا قد مضوا بعد ان ادوا مهمتهم بالقبض على جاسوسة .
اصعدني للسيارة ، اعادني للفندق بينما كانت صفارة الامان تعلن نهاية غارة .

سارة ناعورة

خلوصي الخيري - نقولا الدر

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ خلوصي الخيري

رجل دولة ، ورائد من رواد الفكر العربي المعاصر ، وهبه الله خصبا في التفكير ، واصالة في الرأي ، وبراعة في عرض القضايا السياسية وسبر اغوارها ، وفي تحليل المشاكل التي تواجه العالم العربي ، وجمع في شخصه المعرفة القادرة بالحكمة الفاعلة !

ولد « خلوصي » في الرملة البيضاء بفلسطين عام ١٩٠٨ لعائلة عريقة توارثت العلم كابرا عن كابر لاجيال عديدة ، وأكمل دراسته الاولية في الرملة ودرس القرآن على الشيخ محمد القادري من علماء الرملة .

وقصد بيت المقدس لتلقي دراسته الثانوية ، فوزع سنيها بين مدرسة المطران ومدرسة الفرندز برام الله والكردينال فراري (كلية تراسانطه فيما بعد) . وبعد ان نال الشهادة الثانوية انتسب الى الجامعة الاميركية في بيروت ، ونال عام ١٩٢٨ شهادة بكالوريوس في السياسة والاقتصاد واللغة العربية .

وطلبا للمزيد من العلم يمم لندن ودرس الادارة المدنية ، وهي تشمل دروسا اقتصادية وسياسية وادارة مدنية ، في « مدرسة الاقتصاد اللندنية » احدى كليات جامعة لندن وامضى فيها مدة سنتين وفي عام ١٩٣١ عاد الى فلسطين وعين موظفا كبيرا في مكتب المطبوعات بالقدس ، وظل يعمل فيه لغاية ١٩٣٥ ثم نقل الى الادارة وعين قائم مقام في القدس ، وتنقل بين حيفا وجنين ونابلس وبيسان والرملة .

وفي صيف عام ١٩٤٥ استقال من الجهاز الحكومي والتحق بالمكاتب العربية ايمانا منه بان ذلك اجدى وانفع لخدمة القضية الفلسطينية وشرح ظلامتها للعالم الاميركي ، وعين رئيسا للمكتب العربي في واشنطن وامضى في عمله هذا عاما ونصف العام ثم استقال وعاد الى مسقط رأسه .

وبعد حلول النكبة المروعة الاولى (١٩٤٨) وهام عرب فلسطين على وجوههم ، لجأ « خلوصي » الى رام الله متكتلا فيها مع نفر من اخوانه لعرقلة الجهد الذي بذل عام ١٩٤٨ لعقد الصلح مع اسرائيل .

وفي فترات واقعة بين اعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٩ شغل في عهود مختلفة وزارات الاقتصاد والزراعة والصحة والمعارف ، وانتخب عدة مرات عضوا في المجلس النيابي ، ودعا الى معارضة بناءة والنظر في تعديل الدستور الاردني بحيث ينسجم ووعي الشعب .

وكانت وزارة الاقتصاد الموئل الرئيسي لعمل السيد الخيري كوزير خلال السنوات العشر التي تولى خلالها منصب الوزارة . وفي هذه الفترة برزت الغالبية العظمى من المشاريع التي تقوم عليها الآن نهضة الاردن صناعيا . وكانت وزارة الاقتصاد تحت اشرافه مرجع الخبراء ومكان التخطيط والدراسات التمهيدية التي انتهت بقيام صناعات الاسمنت والفوسفات ومصفاة البترول والدباغة والاجواخ والبوتاس والسكر وغيرها . ولقد سارت هذه الصناعات سيرا حسنا ، مع ان صناعتي البوتاس والسكر لم تظهرا الى عالم الوجود بعد ، فان الدلائل تشير الى صحة الدراسات والاستنتاجات التي قامت بها وزارة الاقتصاد في عهد السيد الخيري . ومع ان بعض الناقدين يأخذون عليه واسع خياله ، فان هذا الخيال الخصب نفسه هو الذي تنبأ بنهضة الصناعة الاردنية ، ومهد لارساء قواعدها وانتظام سيرها .

وفي ربيع عام ١٩٥٨ بدأت المفاوضات السياسية بين الاردن والعراق لقيام الاتحاد العربي ، فعين السيد الخيري وزير الدولة للشؤون الخارجية ، ولم يكن تعيينه هذا من قبيل الصدفة ، لكنه جاء نتيجة لرأي ممحص ومعرفة ثاقبة ، فانت اذا استمعت لحديث السيد الخيري في الشؤون العامة لفت نظرك تحول نظره في المشاكل السياسية العربية والعالمية ودراسته الواسعة لهذه المشاكل وأسسها وحلولها ، هذا مع لباقة رجل السياسة في العرض والسرد والاقناع ، وهذا الذي تسمعه يمثل في الحقيقة ميله الفطري للسياسة والشؤون العامة .

وانتهى الاتحاد العربي بين الاردن والعراق بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، تلك الثورة التي اطاحت بهذا الاتحاد ، وكان السيد الخيري وقتذاك في بغداد فاستهدف للخطر لكن الله تعالى كتب له السلامة بعد ان ظل في مستشفى الرشيد العسكري مدة ٣٥ يوما قيد المعالجة .

وبعد عودة السيد الخيري من بغداد الى عمان عين عضوا في مجلس الاعيان ، وفي عام ١٩٥٩ دخل الوزارة الاردنية لآخر مرة كوزير للاقتصاد ثم انصرف الى العمل الحر ، وفي عام ١٩٦٣ انتخب عضوا فيالوفد الذي مثل فلسطين في اجتماعات هيئة الامم .

اشتهر السيد الخيري بذهن متوقد ، وعقل متفتح ، وقدرة خلاقة مبدعة ، وأكثر ما ساعد على تكوين اتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية دراسته في « مدرسة الاقتصاد اللندنية » مدة سنتين ، وكان من اساتذة هذه المدرسة وشيوخ الفكر في بريطانيا امثال « دولتن » وزير المالية في وزارة حزب العمال برئاسة مكدونالد ، و « جنكنز » صاحب التأمين الاجتماعي و « روبنز » و « فاينر » وهما من مشاهير اساتذة تلك المدرسة و « لاسكي » سكرتير لجنة حزب العمال البريطاني .

وتأثر السيد الخيري بالمؤلفات السياسية ولذا عكف على آثار «برنارد شو » و « وب » وزوجته « بياتريس » الشهيرة ، وقرأ لـ « برتراند راسل » و « ويلز » فأعجب بمؤلفاتهما وآرائهما ، ولقد أبانت له هذه الكتب الافكار والمذاهب ، وربطتها بحياته العملية ربطا محكما حتى صارت جزءا منها .

وتأثر السيد الخيري بـ « ابن خلدون » صاحب المقدمة الشهيرة ايمانا منه بأن فلسفته تبحث بعمق في الحياة العملية التي يعيشها العرب ويمارسونها . ومن الناحية الادبية يطرب كثيرا للشعر الجاهلي عامة وللمعلقات خاصة ، ويثير استغرابه كيف سميت (الايام) التي قيلت فيها مثل هذه الاشعار (جاهلية) وهي على مستوى رفيع من الذوق والخيال والقوة ؟!

والحل الامثل في نظره للوضع العربي المريض المتخلف هو الحل الذي يقوم على أسس اقتصادية سليمة ، واهم ما يوفر هذه الاسس الاقتصادية هو القضاء على التجزئة ، واقرب الحلول لتحقيق هذا .. هو الحل الاقتصادي السليم .

والعالم العربي في وضعه المهلهل الحالي يعتبر عند الخيري كيانا مريضا في حاجة الى معالجة جذرية ، والمعالجة الجذرية هذه هي ازالة التجزئة والنهوض باقتصاديات هذا العالم الممتد من المحيط الى الخليج واستغلال موارده وثرواته الطبيعية الهائلة وتأمين انتشار هذا التقدم بحيث يشمل افراد المجتمع العربي كله ، مع شعور السيد الخيري بان هذا العمل يتطلب كفاءات (فوق العادة) من قبل القيادات التي تتصدر العالم العربي .

والنكبتان الفلسطينيتان المروعتان ، في نظر السيد الخيري ،

كشفتا للشعب العربي كله وللفئات المثقفة بشكل خاص ، عن حقيقة الواقع العربي المريض ... وان ما يجري في العالم العربي الآن هو نتيجة مباشرة لمحاولات تقوم بها الطلائع والقيادات العربية لتبديل هذا الواقع .

وفي رأي السيد الخيري ان من غير المستغرب ان تفشل بعض هذه المحاولات ، وان ينجح البعض الاخر ، ومبدأ التجربة والخطأ للوصول الى « الحل الامثل » ينطبق على هذه المحاولات كلها .

وليس فيما نشاهده ، مما يجري في العالم العربي ، مما يثير في نفس السيد الخيري الجزع والخوف ، اذ قد ثبت تاريخيا ان الشعوب التي سبقت الشعب العربي في مثل محاولاتها هذه لتصحيح اوضاعها ومعالجة امراضها ، قد مرت بمثل هذه المراحل . وكل ما يرجوه هذا المفكر الواعي ان لا تطول هذه الفترة اي فترة التجربة والخطأ

نموذج من نثره : ١ – «تستهل الحكومة بيانها بتواضع محبب ولكنه في الوقت نفسه غريب فتقول « انها لم تكن على صلة مباشرة بشؤون الحكم ولا على الخطط والتفصيلات التي كانت تعالج بها قضايا البلاد العامة « وانهم » جاءوا الى الحكم وليس امامهم الا واقع الشعب بظروفه الدقيقة التي تجتازها سواء في امورها السياسية او الاجتماعية وسواء في معالجتها لقضايا حريات الشعب وفلسطين واللاجئين » الى اخر ما هنالك . ولولا خشيتي ان افسد على الحكومة هذا التواضع الجميل لقلت انه تواضع مبالغ فيه وانه لا يقوم على اساس من الحقيقة فلقد عاصر دولة الرئيس والكثرة من زملائه قضايا هذا البلد منذ نشأتها واني لا اكاد اذكر مرحلة واحدة من مراحل تطور هذه القضايا والمؤتمرات التي انعقدت في سبيل ايجاد حلول لها لم يكن لدولته او لاحد زملائه اثر بارز فيها ، فمنذ الحرب الفلسطينية يوم كان دولته وزيرا للدفاع الى الهدنة الاولى فالهدنة الثانية فالاتفاقية السعيدة « اتفاقية رودس » فمؤتمر لوزان فاروقة هيئة الامم فمؤتمر باريس الخ الخ ولعل من شأن هذه الحقائق ان تزيد في روعة هذا التواضع وبالتالي في تقديرنا له واعجابنا به .

٢ – ثم ينتقل البيان بعد ذلك الى موضوع المحافظة على استقلال البلد وسيادتها وتامين الحريات الاساسية للشعب ، ويسترسل في ذلك حين يستحيل الى نشيد من الانشاد ، « ويمس شغاف القلب » على حد تعبير دولة الرئيس بالامس وانه لمن المؤسف حقا ان تصطدم هذه الانشودة العذبة المحببة بواقع مرير يتلخص في ان هذا البلد في وضعه المالي والاقتصادي لا يستطيع ان يدفع اكثر من ثلث نفقات الدولة البالغة ١٤ مليونا تقريبا وان ما تبقى من هذه النفقات وهو في حدود ٩ مليون جنيه يقوم بدفعها المكلف الاجنبي . وما لم تتمكن الحكومة الاردنية من استبدال هذا الواقع بواقع آخر يمكنها من الاستغناء عن هذه المساعدات فان انشودة الاستقلال والسيادة والحريات في هذا البلد ستظل الفاظا لا تنطوي على معنى حقيقي وصورة لا روح فيها ولا حياة . ومهما اختلفت درجة تحسس الحكومات المتعاقبة بهذا الواقع فالذي اعرفه انا وانتم ان الحرية والاستقلال كل لا يتجزأ فلا يجوز ان يقال مثلا ان بلدا من البلدان مستقل ٢٠ ٪ او ٥٠ ٪ او ٩٠ ٪ وانما يقال هذا البلد او ذاك مستقل او غير مستقل كما لا يجوز ان يقال ان شعبا من الشعوب متحرر ٥٠ ٪ او ٧٠ ٪ او ٩٠ ٪ وانما يقال ان شعبا من الشعوب متحرر او غير متحرر وعلى ذلك فان اية حكومة تقوم في هذا البلد في ظل هذا الواقع القاسي لا يجوز مطلقا اعتبارها حكومة متحررة . ولما كانت القاعدة الاساسية ان « فاقد الشيء لا يعطيه » فان اية حكومة من هذا النوع لا يمكنها ان تؤمن للشعب حرياته واستقلاله وسيادته بل لا تستطيع ان تؤمن بقاءه في وطنه .

٣ – الامن الداخلي : اما قضية الامن الداخلي فلم تكن في يوم من الايام مشكلة ذات بال فلقد تعاقبت الحكومات ولم تعجز واحدة منها في تحقيق هذا الامن وذلك بفضل ما توافر من القوى التي تكلف هذا البلد ما يقرب من ثلث الموازنة . اما المشكلة الحقيقية فهي في توفير الامن الخارجي وحماية ارواح سكان تلك القرى الصابرة المرابطة على الحدود من الهجمات المتكررة التي تشنها القوات اليهودية وليس في بيان الحكومة ما ينبيء بان هذا الحال سوف يتبدل او يختلف عما كان عليه في السابق بل ان هناك ما يشير الى ان الحالة قد تسوء بسبب انشغال الحكومات العربية بقضاياها الداخلية كما ان للتوتر في العلاقات بين الدول العربية من جهة والحكومة البريطانية من جهة اخرى اثره في تدهور الحالة على الحدود الاردنية اليهودية واني اود ان الفت نظر المجلس الكريم في ان الحالة على الحدود تستدعي الحذر والانتباه الشديدين .

ثم يستعرض البيان قضية فلسطين فيقول « ان قضية فلسطين ليست قضية اردنية فحسب وانما هي قضية العرب اجمعين افرادا او شعوبا او دولا . ولا تستطيع اي دولة عربية او غير عربية ابداء رأي معين او فرض حل معين بصدد تسويتها الا بضمان الحقوق العربية فيها والا في نطاق التفاهم العربي التام » .

ثم يسترسل البيان فيقول : « غير ان الاردن بحكم موقعه الجغرافي ونتيجة للتطورات التي وقعت بعد نكبة العرب في فلسطين يشعر بانه يحمل العبء الاكبر من الآثار المترتبة على تلك النكبة والحكومة تقديرا منها للمسؤوليات الجسام التي تواجهها ترى من واجبها ان تتبنى سياسة واضحة لتستلم زمام المبادرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فتبقي عليها حية في نفوس العرب وتعمل على اشراك العالم العربي معها في الوقوف جنبا الى جنب امام الخطر الصهيوني الجاثم على جزء عزيز من اجزاء وطننا العربي » .

والشيء الجديد في هذا البيان هو عزم الحكومة على تسلم زمام المبادرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وهو شيء جميل وهام واني شخصيا أؤيده كل التأييد ولكني اتساءل : ما هي السياسة الواضحة التي على اساسها تبغي الحكومة ان تتسلم زمام المبادرة هذا فقد بحثت عن ذلك في بيان الحكومة ودققت فلم اجد اثرا لمثل هذه السياسة . نعم هنالك اشارة الى وجوب تامين الحقوق العربية في فلسطين وضمان التعاون العربي التام مما يدخل في باب المبادىء العامة ولا يمكن اعتباره سياسة واضحة او غير واضحة في حال من الاحوال . وما لم تتوفر مثل هذه السياسة فان تسلم زمام المبادرة يظل امرا بعيد المنى بل يكاد يكون مستحيلا ! » .

٢ – نقولا الدر

كان شعاره طالبا ومناضلا في سبيل امته كلمة بول دومير رئيس الجمهورية الفرنسية الاسبق : « أحبب وطنك بكل قواك واسع الى رفعته واعلاء شأنه بين امم الارض قاطبة ، اخدمه باخلاص وكرس له جهادك ونشاطك ، ابذل ذلك في سبيل الدفاع عن كرامة بلادك واستقلالها ، وليكن الحرص على كرامتها حتى يبقى هذا الوطن العزيز مرفوع الرأس دائما بين سائر الامم ! » .

ولد « الدر » في شفاعمرو بفلسطين وأتم دراسته الابتدائية في مدرستها الاميرية وانتسب لـ « كلية كردينال فراري » (كلية تراسانطه فيما بعد) ، بالقدس الشريف وتخرج منها في صيف ١٩٢٦ وبعد عام دخل الخدمة العامة موظفا في مصلحة الجمارك والتجارة الفلسطينية وامضى الشطر الاكبر من خدمته في قسم النفط .

ولما ايقن من ان الخطر الصهيوني يحدق ببلاده ويستشري شره أخذ يمارس المعالجات السياسية باسماء مستعارة لحظر النشاط السياسي على موظفي الحكومة . ومن الاسماء المستعارة التي كان يذيل بها مقالاته « ابن الصحراء » كما اخذ ينشر مقطوعات ادبية في بعض الصحف والمجلات العربية واتخذ من جريدة « فلسطين » اليافية مسرحا لنفثات قلمه ، وفي نيسان ١٩٣٦ نشر مقالا ادبيا في مجلة « المقتطف »

القاهرية .

وبعد سقوط حيفا (١٩٤٨) في يد العصابات الصهيونية نزح « الدر » الى الاسكندرية اولا وبعد عام انتقل الى بيروت حيث اخذ ينشر في صحفها بحوثا سياسية وادبية ، وفي صيف عام ١٩٥٢ وقع عليه الاختيار ليتولى تحرير الشؤون العربية في جريدة Daily Star الانكليزية التي تصدر عن « دار الحياة » في بيروت ، وفي حزيران ١٩٥٤ تولى رئاسة هذه الصحيفة .

ولأسباب سياسية استقال في آب ١٩٥٩ من عمله في الصحيفة المذكورة وعاد الى نشر بحوثه السياسية والادبية في الصحف والمجلات البيروتية . وفي ايار ١٩٦٤ انتخب نائبا لرئيس المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي عقد في بيت المقدس ، وفي آب من هذا العام اختير عضوا في اللجنة التنفيذية الاولى لمنظمة التحرير الفلسطينية وعهد اليه برئاسة دائرة الاعلام والتوجيه القومي . وفي اثناء رئاسته هذه انشئت اذاعة « صوت فلسطين » في القاهرة (آذار ١٩٦٥) كما انشىء مركز الابحاث التابع للمنظمة الفلسطينية في بيروت . وفي شهر حزيران ١٩٦٥ استقال من اللجنة التنفيذية فعاد الى البحث والتاليف .

وفي ١٩ - ٣ - ١٩٦٧ توفي هذا العربي المؤمن في مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت فنعته نقابة المحررين في لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ودفن ظهر اليوم التالي (٢٠ - ٣ - ١٩٦٧) في مقبرة راس النبع للروم الكاثوليك وأبنه نقيب المحررين في لبنان ومدير منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وكانت جنازته مشهدا وطنيا ولف جثمانه بالعلم الفلسطيني .

تميز نقولا منذ عهد دراسته بالاخلاص لأمته والتفاني في سبيل قضيتها الكبرى ونذر قلمه لشرح ظلامتها على صفحات بعض الصحف الانكليزية والصحف العربية ، وكعربي مؤمن بعروبته ، فخور بأمته ، هام « الدر » بالنبي العربي الكريم الذي ارسله الله هدى ورحمة للعالمين ، وغالى بالكتاب الذي أنزله الله عربيا فصان الامة العربية من الفناء وابقى على وحدتها . واعتزازا بالكتاب الكريم كان يدسه في جيبه او ينشره على مكتبه ، او يحمله في يمينه .

وفي رأيه ورأي كل عربي مؤمن ان العرب لولا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رسولا كريما ، ولولا القرآن الذي أنزل على هذا النبي المختار لانصهرت هذه الامة في بوتقتي الاستعمارين الفارسي والروماني ولطغى عليها اللسانان الفارسي والروماني . ودونك رأيه في ام اللغات وفضل القرآن الكريم عليها :

« ان لغتنا هي روح قوميتنا ، وبدون لغة حية لا تحيا قومية ، ولذلك فان كل خدمة للغتنا انما هي دعم لقوميتنا وعز لامتنا ، وحصن منيع نقيمه حولنا دفاعا عن كياننا ووطننا .

اللغة تحمينا وتذود عنا ، وتمدنا باسباب القوة والمنعة والخلود ، ولهذا يرهبها المستعمرون الطامعون فينا والعاملون على قهرنا واخضاعنا واقتطاع بلادنا . ومن اجل هذا نـراهم دائبين على مهاجمـة لغتنا ، محاولين طمسها او تمزيقها ، طمعا منهم في تمزيق قوميتنا وتفتيت أمتنا ، ثم تخليد هذا التفتيت - اذا استطاعوا - بفرض تعدد اللهجات وتنوع اللغات .

هذا ما حاولته فرنسا في الجزائر ، وهذا ما يحاوله القزم الصهيوني في فلسطين المغتصبة ، وهذا ما طفق المستعمرون الغربيون يحاولونه في غير فلسطين والجزائر من الاقطار العربية ، وذلك بكل ما في وسعهم من صور واساليب خفية مختلفة ، فيها من ضروب المكر والدهاء ما يذهل العقل .

من هنا ينبع حرصناالشديد على هذه اللغة الكريمة ، واعتصامنا بها وحدبنا عليها حدبا يؤجج ضرامه حب بالغ لها ، لما تتصف به من جمال وملاحة ، ولين وسماحة ، تستطيع اذا شاءت ان تفاخر بها لغات العالم كلها قديمها وحديثها .

وهنا لابد من كلمة يفرضها علينا الواجب دفعا للشكوك والاوهام واحقاقا للحق ، وهي كلمة تتلخص في سؤال بسيط جدا وهو : « لماذا يحلو لبعضهم حشر القرآن الكريم حشرا كلما اثير موضوع الصعوبة في لغتنا او تطوير قواعدها ؟ وما دخل القرآن في هذا الموضوع ؟ »

ان القرآن « لا يحنط اللغة العربية بقواعد الماضي » كما يزعم بعضهم ، ولا يحول دون « اعادة النظر في بنيانها لتتلاءم مع عقلية العصر » كما يزعم آخرون ، لان هذه القواعد ليست من وضع القرآن حتى نتهمه بعدم الرغبة في تغييرها . ان تطوير القواعد هو من واجبنا نحن ، والقرآن يساعد على ذلك ، ولا يحول دونه كما يدعون . فاذا كنا نحن مقصرين في اداء واجبنا ، فلماذا نحاول وضع الذنب في ذلك على القرآن الكريم ؟

وأرخص من هذاالزعم زعم بعضهم بان القرآن يحاول فرض اسلوبه على الناس ، ونحن نربأ بأنفسنا ان نضيع الوقت بدحض هذا السخف

ان فضل القرآن الكريم على اللغة العربية لا ينكره الا العمي او المكابرون ، لان القرآن هو الذي صان لنا هذه اللغة سليمة معافاة في اروع صورها واساليبها ، رغم النوائب التي انتابتها ، والدياجير التي اكتنفتها . فلو تخيلنا صائغا عبقريا تناول قطعة ذهبية فصاغ منها ما لا يخطر على بال ، من بدائع الصور والاشكال ، ثم اختزن هذه الروائع في خزانة فولاذية لا يقوى الدهر علـى تحطيمها او افسادها او العبث بما فيها ، لو تخيلنا هذا المثل ثم طبقناه على لغتنا لكان القرآن الكريم هذه الخزانة الخالدة التي صانت لنا هذه اللغة وما فيها من فرائد ومعجزات .

اما الزعم بأن لغتنا صعبة لان القرآن صعب معقد يستعصي « فهم الكثير من آياته وجمله ومفرداته » على « الاكثرية الساحقة من المسلمين المتعلمين » فكلام متهافت ينقض بعضه بعضا ، لان القرآن ليس صعبا ولا معقدا ، وهو كتاب وضاء مشرق ، واضح كل الوضوح لمن يشأ لعقله ان يعقل . وهب انكتابا ما في لغة ما كان صعبا معقدا ، فهل من الضروري ان تكون اللغة كلها صعبة ومعقدة ؟

على ان لغتنا نفسها ليست صعبة ولا معقـدة ، وانما هي على النقيض من ذلك تماما ، لغة رقيقة سلسة لينة ، قريبة من العقل والمنطق ، بل انها لأقرب الى العقل والمنطق من كثير من الغات الاجنبية التي يستشهد بعض الناس بيسرها وسهولتها . ان ما يقال عن سهولة الانكليزية او الفرنسية او الالمانية مثلا ليس الا كلاما سخيفا او كلاما باطلا يمليه الخبث او الجهل ، لان قواعد هذه اللغات ليست سهلة كما يدعون ، فضلا عن انالشذوذ في هذه القواعد اكثر مما عندنا منه بكثير . ولكن طرق التدريس عندهم ، ومداومة النظر في قواعدهم ، لما ييسر العسير ويقرب البعيد !

اما زعم بعضهم بان غنى العربية بالمفردات والمترادفات هو مناسباب صعوبتها وتعقيدها ، فانما هو كذلك كلام سخيف او رخيص ، لان هذا الغنى الفريد لما يسهلها ويطوعها ، ولكل واحد ان يغترف من هذا البحر الخضم على قدر ما يشاء او يقدر . ومتى كان غنى المخزن الزاخر بمختلف البضائع والبدائع ، من جميع الحجوم والرسوم والالوان - متى كان غنى مثل هذا المخزن ، يا ترى ، مدعاة للسب والعيب والانتقاص الا عند مشتر احمق ، او حسود اخرق ؟ »

وفي المجال الفلسطيني يعتبر « الدر » من اعلى الاصوات في معركة الفكر والقلم ، ومن رأيه ان الطريق العملي لتحرير فلسطين هو « المدفع » ، ويجب ان يحمله شعب فلسطين اولا والبترول العربـي ثانيا ، اذ هو من امضى الاسلحة في معركة التحرير ، ولو خلصت النيات - كما يرى الدر - فان الامة العربية تستطيع بما تملكه من ثروات لا نظير لها ان تفرض رأيها على اقوى الدول في العالم .

من آثاره القلمية : لو قدر للدر ان يجمع ما كتب ونشر من بحوث

طفولة

يروق لي الجديد فأشتهيه ويأبى ان يدوم لي الجديد
وكم حلم تبدد حين أفضى الى شيء وفي نفسي المزيد
وكم من دمية حطمت يوما على قدمي وما امتنع الحديد
أراني كل يوم في صراع مع الدنيا واجهل ما أريد
كأني لم أزل طفلا وحولي دمى أشهى ملامحها البعيد

وديع ديب

سياسية وادبية لأثرى الخزانة العربية باعلاق نفيسة . وحسبه فخرا كتابه الاول « هكذا ضاعت وهكذا تعود » وقد صدرت اول طبعة منه في ايلول ١٩٦٣ متضمنا شرحا علميا وافيا لخطر النفط العربي وعلاقته بكارثة فلسطين وتحريرها .

وقبيل ان يلحق «الدر» بربه كتب الي يقول: «عندي للنشر كتاب سياسي خاص بفلسطين طبعا ، وكتابان غير سياسيين ، ولكني لم أختر لهما اسماء بعد لاني لست متعجلا النشر لأسباب خاصة » .

ويقرر الذين اتيحلهم قراءة كتاب «هكذا ضاعت وهكذاتعود» انهمن اهم المصادر التي تعالج القضية الفلسطينية لانه قائم على دراسة علمية مركزة .

نموذج من نثره : « استاذنا الجليل الشيخ « أبو رشيد » من اظرف خلق الله ، وارجحهم عقلا ، وابلغهم مقالا ، وهو من اولئك المفكرين الذين يحلو لي ان ادعوهم « أدباء اللسان » لانهم يتحدثون ولا يكتبون، فيحتاجون الى من يسجل آراءهم واقوالهم كي ينتفع بها الناس وقد سمعت منه حديثا عن قداسة « الارض » وجمالها ونفاستها لم اقع على مثله في ادب غربي ولا شرقي .

كنت معه في الحقول والغابات في أصيل يوم انيق ، من ايام الربيع المضيء الصداح ، وقد عبق الجو بروائح العبهر والنرجس والقندول والسنديان ، فطفق يملأ رئتيه ويقول :

« هذه انفاس الارض الزكية يا بني — انفاس هذه الغادة التي لا جمال في الدنيا كجمالها ولا سحر كسحرها . وأين جمال كليوباترا وسميراميس ومدام دي بومبادور واشباههن من هذا الجمال الآسر الفريد»

وكنا على رابية تشرف على سهل فسيح ذي تراب جميل كالحناء والياقوت الاحمر ، فقال :

« انظر ما اجمل هذه السجادة الالهية الفاخرة ، التي تتخذها هذه البلابل والغزلان ملاعب ومسارب لها ، وهي معتصمة بالصمت الابدي ، وفيها من الطلاسم والاسرار ما يبعث في قلبي الرهبة والخشوع ... فكم حي رأت ، وحديث وعت ، وجسم غذت ، ودم شربت ، وميت وارت ، وفاتح استقبلت وشيعت !

واني لأعجب ، والله ، كيف يستسيغ بعض الناس بيع مثل هذه الثروة الخالدة ، ولو كان الثمن دينارا ذهبيا لكل ذرة من ترابها ... وانت ترى ان الناس يشترون متر القماش بثلاثة دنانير او اكثر ، فيبلى بعد بضعة اشهر .. وهذه التي لا تبلى ولا تسرق ولا تحرق يباع الالف متر منها بثلاثة دنانير !

وهب اني قلت لك « عندي آلة اودعها الدينار فترده الي خمسين» أفلا تعجب ؟ فاي شيء تلك الآلة ، سوى هذه الارض الوفية الطيبة المباركة ، التي تودعها الحبة فتردها اليك اربعين ... او ستين ... او ثمانين ... حسب نشاطك ووفائك ! ثم ان الارض كالعرض ... أي انها من المقدسات والحرمات التي لا تباع لاتقاء شر ، او دفع مسغبة او هوان ... وهي الى ذلك ، ملاعب صبانا ، وذكريات شبابنا وثرى آبائنا واجدادنا ، تكنز عظامهم في احشائها بحب وحنان ، بحيث لا يلحق بتلك الاعظم الكريمة اهانة ، ولا يعلق بها دنس ... فاذا باع المرء ارضه ، فكأنما باع عرضه ، وذكريات صباه ، وعظام آبائه واجداده والكنز الجميل الخالد الذي يغذوه حيا ، ويحنو عليه ميتا ، ويظلله بالازاهر والرياحين ... ! » .

وهنا هب واقفا وقال ، وفي عينيه بريق قدسي : « والله ، لولا خشية الوقوع في الكفر ، لقلت ان هذه هي الابدية التي يدخلها الناس عندما يموتون ... أفلم يزل آباؤنا واجدادنا منذ آلاف السنين كما سنزول نحن وذرارينا الى آلاف آلاف السنين ، وهي هي لا تحول ولا تزول ؟! » .

وسكت الشيخ فطرقت اسماعنا اغاريد البلابل والشحارير وقد سكرت وجنت فراحت تصدح سمفونية الربيع الخالدة ، والجبال منصتة بخشوع ، وكأنها جاءت من مكان بعيد لحضور هذا المهرجان الالهي وهي في ابهى حلة من الزهر الباسم وضياء الشمس الذهبي الوهاج .

وامتد سكوت الشيخ ، ونسينا حالنا ، حتى لاح لنا من بعيد شبح انسان ، فاذكرنا اننا على الارض ، لا في السماء ... فنهض الشيخ وقال :

« هذه هي الارض يا بني ! انها وطن وكرامة ... فمن لا ارض له لا وطن له ، ولو كان في يده الف جنسية وجنسية . ومن لا وطن له ، لا كرامة له ، ولو كنز المال وملك الجاه ولبس الطيلسان والارجوان وهذه كلها ، والارض ايضا زخارف باطلة الا اذا كانت في مواطن الصبا وملاعب الشباب ، وفي ربوع القوم والاهل والاحباب ! » .

عمان — الاردن

البدوي الملثم



الى كوركيس عواد

الاستاذ العظيم وعلامة العراق

* * *

كركيس يا ابن الجهبز العواد … يا لابسا حللا من الامجاد
زعم العراق بأن جوهرك الذي … ما مثله في الدهر من وقاد
ملك له ولاهله وقبيله … والمجمع العلمي ذي الاجواد
كلا وربك أنت ملك للحجى … في كل سهل في البلاد ووادى
شرف العروبة ان تفوز بعالم … في مثل قدرك في مجال الضاد
يا عارف المخطوط في مكنونه … وعليم خاف في مداه وبادي
أمؤلف الكتب التي أهديتني … قد كنت لي فيها الدليل الهادي
ان الديارات التي أجليتها … رهبانها خلدوا مع العباد
يا ليتني فيهم فأشرب كأسهم … من خابيات عتقت لمعاد
وتميل بي جوقات لحن في المسا … وعلى الصباح رفيقة الانشاد
سبح بما شئت الاله فانما … لغة القنوت قريبة الابعاد
يا باحث العصر التوالف أقبلت … ترتاد وردك باللهيف الصادي
كنت المبين لامة في علمها … مثل الصوى في الدرب ذي الاجهاد
تلك الصحائف عاشرتك بعمرها … أخوات نور الله في الايراد
شغلتك عن كل الحسان وفنها … يا من رآك بدرسك المعتاد
اطلعت «ماري الكرملي» ابا اللغي … شافي الانام وخدن كل فؤاد
شق البهاء له مباهج لحية … كانت وسام جلاله المرتاد
هو فيلسوف اللفظ معجم عصره … فوق الحروف ومطلب القصاد
هذا كتاب العين في مخطوطه … هو صانه عن ربقة وفساد
أأخا المجامع ان اعدت وجوده … فلقد نضوت بذاك ثوب حداد
يا ليتني أدركته فعرفته … هو في اللسان بقية الاجداد

شوقي الى بغداد مشبوب الهوى … فاسكب لي الآداب من بغداد

دمشق

زكي المحاسني

الصداقة بين الواقعية والمثالية

بقلم مصطفى درويش الدباغ

* * *

ان شعور الانسان بالغربة في هذه الحياة ، يقتضيه التماس الصديق ، الحاني العطوف، ليكون موضع انسه ، ومستسر نجواه ، يفتح له مغاليق قلبه ، ويبثه ما تعانيه نفسه ، وما يكابده في هذه الحياة ، من اصناف الالم ، وليطلعه على ما يخفق في جوانحه من نظرة الى الكون والحياة ، وليعينه اذا تجهم له الدهر العابس، على مجابهة الصعاب، مسترشدا برأيه ، في حل ازماته المعنوية والاجتماعية ، ويصدقه الود ، ويمحضه الاخاء ، صديق كالماء ، خال من الاقذاء ، ترتاح لاشراقاته النفسية ، وتنفذ بروحك ، الى كل خلجة من خلجاته الروحية .

وحياة الانسان ، يغمرها الجفاف ، اذا خلت من نسمات الاصدقاء الندية ، وارواحهم النقية ، ويلابس الانسان السأم والملل ، اذا افتقد الصديق الحاني ، البار العطوف ، وابدع انواع العطف ، هو العطف المعنوي ، فهو غذاء الروح ، يجدد النفس آمالها وامانيها ، فتنتعش اذا ما أوشكت على الضمور واليأس ، كما تنتعش الروضة الذابلة ، اذا ادركتها بالري والعناية ، واطلقت الماء يجري في اعماق التربة ، منسابا الى جذورها ، يحمل دفقات الحياة ، جرعات متتالية ، فتتألق البهجة في مباسمها ، وتثب الفرحة الى اغصانها واماليدها ، فتنعقد الخضرة فيها ، فرحة طاغية ، تواقة للنور والحرية .. واذا ما عنيت الصديق .. فانما اعني الصديق المثالي ، ولا اعني الاصدقاء بوجوههم ، والاعداء في قلوبهم ، والحساد في ضمائرهم ونفوسهم .. ويصادف الانسان كثيرا من هؤلاء في حياته الاجتماعية، فيطوي مباذلهم واحقادهم وحسدهم ، على يأس ومرارة، يجترع مرارة الحياة اذ كتبت في صكوكها ، والواحها ، بأن يكون لهم خيط طويل ، في نسيج حياته ، يدسون له السم الخفي ، فيجترع كأسه ، غير حافل بما يحوي من العذاب .. وحياة الانسان الحر ، حافلة بأمثال هؤلاء ! ، اذ لا بد لحياة الصفو والحرية ، ان يكدرها الحسد ، والبلاء اللاحق ، ما دامت سنة الحياة، العراك والنضال ، سواء كان ظاهرا جليا ، او خفيا مستترا ...

فكما ان سنابل القمح التي تعانق الوضاءة والنور ، بطلاقة وحرية ، يخالها الناظر ، اقراصا حمراء ، تسبح في غلالة من النور ، نسيت الشمس وهي جانحة للمغيب ، ان تلمها وهي تسحب شباكها ــ بداخلها وهي في روعة المنظر وجمال الفتنة المتألقة ، بعض الحشرات والهوام ، لتفسد ذراتها ، وتسلبها الحيوية والنماء ، فكذلك الاصدقاء الاعداء ، هم اشبه بحشرات السنابل ، والاعراق والدوالي ، يعيثون فسادا في حياة الانسان الهادئة ، لما يتلظى في قلوبهم من جمرة الحسد لا تهدا حدتها ، الا اذا الحقت الاذى ، وافسدت على الغير حياته .. وفي اكثر ، ما قرأت في الادب العربي ، لمست الصرخات المدوية ، والانات المشجية ،تنبعث من قلوب الشعراء ، قصائد ومقطوعات ، يرسلونها تتدفق بالالم والاسى ، ينعون غدر الصديق ، لان دقة احساسهم ، ورهافة شعورهم ، وما يغدقونه من العطف على اصدقائهم ، وندرة ، ما يلمسونه ، من التجاوب والعطف ، أورثهم الالم ، لانعدام الصديق الذي يتخيلونه ويصورونه في مشاعرهم واحاسيسهم .

فأبو العلاء المعري على كثرة تجاربه في الحياة ، أوسع الاصدقاء هجوا ، وتأنيبا ، ووجد العصا ، ابر به من كل خدن وصاحب .. وليس الذنب ذنب الصديق ، انما هو ذنب الحياة ، التي اغدقت عليه الاحساس المرهف ، ودفعته الى **التماس الصديق المثالي ، المقترب** من ملائكية الطبع والروح ، **وامثال هؤلاء الاصدقاء من** الندرة ان يصادفهم الانسان في حياته .. يقول :

واوسع بني حواء هجرا فانهم ... يسيرون، في ليل من الغدر لا حب
عصا، في يد الاعمى.. يروم بها الهدى ... ابر به .. من كل خدن وصاحب

وانه يفضل الوحدة في كسر بيته ، على ملازمة اصدقاء ، يداجون وينافقون ، ويتمنون في انفسهم سماع نبأ نعيه .. يقول :

تخير .. فاما وحدة ، مثل ميتة ... واما جليس في الحياة منافق
أردت رفيقا .. كي ينالك رفقه ... فدعه .. اذا لم تات منه المرافق

واما ابن الرومي ــ فلا تجد فيما تنقب له من شعر يتعلق بالصداقة والاصدقاء ، الا تهكما ، وعبثا وسخرية، يطبع البسمة على شفتيك ، وكيف لا تبتسم ، اذا اطلعك على صورة صديق . غريب الاطوار ، لا يضمر لابن الرومي الاكتفاء في هذه الحياة ، بالطعام ، والكساء ، والمأوى ، فاذا ابتسم له الدهر ، ونال اكثر من هذا ، لينفقه على الكماليات وغيره ، فانه يعبس ، ويتجهم ، انه يريد له نفسية شحاذ ، ترتبط هنائته ، بالكساء والطعام، وديوانه حافل بأمثال هذه الصور العجيبة ، وقد ضحكت من صورة شعرية ، يصور صديقه ، يدافع عنه ، عند من يحطون من شأنه ، وينزلون من قدره ، ويخفض من منزلته ، اذا ما رأى الناس ، تشيد بذكره .. انها صورة الصديق الاناني ، يضع ابن الرومي تحت جناحه ، يرفعه ويخفضه في آن واحد ، فكأنه الميزان ، ينزل من قيمته ، اذا رجح قدره عند الاخرين ، ويرجحها ، اذا تدانت منزلة ابن الرومي عند بعضهم . يقول :

في ذكرى نظير زيتون

أقبلت أسكب في «المياس» اشجاني ... وأسفح الدمع بيـــن الآس والبـان
وأنثر الشوق من قلبي ومـن نظري ... على بساط بدمــع الفجـر ريـان
وأسمع الطير أناتـي فتسمعني ... أشجى الاغاريد فـي عطف وتحنان
مالي أداري جراحاتـي واكتمهـــا ... فينكأ الجـرح تلو الجرح كتماني
مالـــي أغالب احزانـي فتغلبني ... وتستبيح حمـى السلوان أحزانـي
فـي كـل يـوم ارى خلا يفارقني ... يـا رب رفقـا بخلاني واخوانـي
أخـا المروءة لم تنزل علـى جدث ... لكـن نزلت علـى جنات رضوان

عشقت فيك الندى والنبل فارتفعت ... نفسي وزاد بحب الخيـر ايمانـي
اذا افترى مفتــر قابلت فريتــه ... ببسمة الصفـــح ارضاء لوجدانـي
ليس الضغينة من طبعي، ومن شيمي ... انـي اقابـل كفرانـا بعرفـان
انـا بنو السلم مـا جرنا على احـد ... ومـــا اردنـا الاذى يومـــا لانسان
ونستضيء اذا ليل الخطوب دجـــا ... بالنيريـن : بانجيـل وقـــرآن

يا حمص يا جارة «الميماس» روعني ... نعي «النظير» وفرط الحزن ابكاني
حملت حبي ومـا حملت مـــن قبل ... الى محيا كوجــه الشمس نورانـي
« الضاد » تسألني عنـــه فيخبرها ... دمع يلوح علـى اهداب اجفانـي
سجع الحمام علـى قرطاسه نغم ... تخالـــه عـزف نايـات وعيـدان
قـــد كان للعلم والاخلاق مفخـرة ... وكـان ابلـغ مـن قس وسحبان
آي مـــن الفن والابداع ينسجها ... ذوق « النظير » باحكام واتقـان
فـــي هيكل الخلد ذكــراه معطرة ... كأنهـــا فـــوح اوراد وريحـــان

حلب

عبد الله يوركي حلاق

صاحب مجلة « الضاد »

لي صديق .. اذا تنوول عرضي ... او رأى يوم نوبتي .. ذب عني
فاذا ما رأى .. مشيدا، بذكري ... او رأى يوم غبطتي .. حطمني !

الى غير ذلك من الصور النفسانية لا يقدر علـى اصطيادها ، الا من كان كابن الرومي في ذكاء القريحة ، وقوة الاحساس ، والخبرة العميقة في اصطياد المشاعر المتناقضة ..

واذا كان ابو العلاء المعري ، نفض يده من الصداقة والاصدقاء ، واستأنس بعواء الذئب ، واصابته الرجفة ، من صوت الانسان ، فان « ابراهيم الدباغ » بعد رحلـة طويلة في ميدان الحياة ، واختبار تجاربيها اغلق الباب على نفسه ، في اواخر حياته ، واحتجـز نفسه ، فـي غرفته ، واطلق على نفسه رهين الاحباس ، اذ لم يجن من معاشرته الاصدقاء والاخدان ، الا الالم واليأس ، لانه يريد صديقه مثله ، مثاليا ، يقول :

عشت ماعشت، لست أخشى عدوا ... وعدوي فــي كل فج ، صديقي

ليس معنى الصديق .. الا سراب ... شغلتنـــا حروفــه ببريــق
درة فـي محارة .. تـدع الباحـ ... ـث عنها .. في بحر هـم عميق

ويختلف بشار بن برد عن هؤلاء الشعراء ، لانه كان واقعيا ، ولم يكن مثاليا مثلهم ، يتجاوب مع واقع الحياة، ويقبل خيرها وشرها ، وهو نفسه كـان يتدفق احيانـا بالشر على اصدقائه ، ولم يصغ من طينة اولئك المثاليين .. يقول :

اذا كنت في كـل الامور معاتبـا ... صديقك.. لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا .. اوصل أخاك فانه ... مقارف ذنب ، مـرة ومجانبـه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت، وأي الناس، تصفو مشاربه

حقا ، ان من يغرق في المثالية ، تنثال عليه الصور العابثة ، يجتنيها من مرارة الحياة ، وعلـى الانسان ان يتقبل الواقع ، ويجتهد في رفعه وتحسينه .

عمان ـ الاردن

مصطفى درويش الدباغ



نظير زيتون

رثاء نظير زيتون

بقلم عبد المعين الملوحي

* * *

وانت ، وحدك ، يا ابا عيسى تعود الى وطنك من بين الوف المهاجرين لتدرج في كفنك ، وانت وحدك ترجع الى بلدك والى حجارتها السود التي عليها درجت وبها تعثرت لتتخذ منها قبرا ..

اخوانك في بلدك كلهم من قبلك تمنوا مثل عودتك وطلبوا مثل قبرك وكفنك : نسيب عريضة وندره حداد وعبد المسيح حداد ، ونمر سمعان ... كلهم ماتوا وفي قلوبهم حسرة : ما ظفروا بكفن من نسيج حمص تأنق في صنعه حائك ماهر يقبع في جورة نول سحيقة في حي باب الدريب ما لمست ايديهم كمشة تراب احمر كأنه الحرير يشقها في قلب الارض فلاح سكران في كروم فيروزة ، ما اسندوا جنوبهم الى شحفة حجر اسود يكسرها حجار شديد البأس في ارض الوعر ... كلهم ماتوا هناك في ديار الغربة ضائعين في قبور ضائعة ...

وانت تقول : او يحسدونني على موتي في بلدي ، ايحسدونني ان وجدت لي في ارضي قبرا وفي داري كفنا ؟ ...

لا تسخط ، فقد كنت تحس البخس في الحظوظ احساسا شديدا ، والم النفس من البخس شديد ، واسمع اقل لك :

لئن ظفر بعضهم في غربتهم بحياة عريضة فقد ظفرت انت في بلدك بموت عريض .

قبلك مات لنا في المهجر اديبان كبيران وشاعران عظيمان ، كانا من ابناء هذا البلد ، وكان حظك خيرا من حظهما .

هذا اخوك ندره حداد كان يذكر حمص كلما ساءه امر او سره امر ، كان يتمنى ان يكون قبره فيها ، حتى وهو يحتضر :

هكذا كلما سررت بأمر   لاح في الحال رسم حمص لفكري
فتمنيت أن أرى في العمر   تربة أشتهي تكون لقبري
عند لفظي الاخير من انفاسي

بل انت احسن حظا من نسيب عريضة ، كان يتمنى ان يعود الى وطنه ، ولو حشو كفنه :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن   هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي الى حمص ، ولو حشو الكفن   واهتف اتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود

وانت تعلم اننا حاولنا ذات يوم ان ننفذ وصية الشاعر الغريب ، وان ننقل رفاته من تلك الارض الظالمة ، حاولنا ان ننقله من نيويورك ... ثم كففنا عن المشروع وظل الشاعر يرقد حزينا مع « الارواح الحائرة » .

كففنا عن المحاولة ، واجهض المشروع ، لانا في بلد يجهض فيه كل شيء : حتى الرجال .

ها انت وقد ذكرتك باخويك وصديقيك تنبسط اساريرك وتنداح البسمة على شفتيك .

يا ابا عيسى :

ساذكرلك ما حييت موقفين ـ والحياة كلها موقف رجولة او موقفان ـ اما اولهما فتبدو فيه اديبا كبيرا ، واما الثاني فتبدو فيه عربيا كبيرا .

كنت في طريقك الى البرازيل ، تحمل حقيبتك بيد ، وتمسك اباك بيد ، كنت يومئذ في الثامنة عشرة من عمرك .. ووقفت في الطريق عند باب هنالك وترددت ، وقال لك ابوك عيسى : ما بك يا نظير ؟ وسكت ثم سألك فسكت ، ثم سألك فقلت على استحياء : ابي هذا كتاب الشيخ حسين ، وفيه تعلمت ... وقال لك : سأهدي الشيخ تحيتك فسر بنا ، وعدت فترددت ثم قلت لابيك على استحياء : اريد مصحفا ... وهرع ابوك الى الكتاب .. وحمل لك عيسى قرآن محمد ...

كانت هذه الوقفة سنة اربع عشرة وتسعمائة والف وكانت الوقفة الثانية بعد العدوان الثلاثي الاول على الامة العربية في مصر ... سنة ست وخمسين وتسعمائة بعد الالف ...

كانت يوم كتبت كتابك الذي عشت ومت وانت تعتز به ، ثم جعلت عنوانه ، من وراء القبر : انهيار امبرطورية وولادة امة .

فاخبرنا ثم اخبرنا ، وانت اليوم فعلا وراء القبر : متى تنهار الامبراطورية حقا ، ومتى تولد امتنا العربية صدقا ؟

يا ابا عيسى :

لم اسمع في جنازتك ، كما كان ينبغي ان اسمع ، ولم الق في قبرك حفنة من تراب ، هي آخر ذكرى الاحياء من الاموات ، واخر عهد الاموات بالاحياء ، كما كان ينبغي ان القي ... بل لم اسمع بنبأ موتك الا بعد ايام ، كنت خلالها ما تزال في ذهني ذلك الانسان الرزين ، والصديق الوفي الامين ، وانت حتى بعد موتك ما تزال في ذهني تحمل هذه الصورة ... لكأننا لا نصدق موت الموتى الا حين نمشي في جنائزهم ، والا حين ندليهم في قبورهم ، والا حين نودعهم بحفنة من تراب ...

يا ابا عيسى :

ما خلنا انك تخلينا في مثل تلك السرعة وتمضي ، القاعة الكبيرة في بيتك القديم تحن الى خطاك ، وسقفها العالي يشتاق الى صوتك المدوي والى قامتك الفارعة ، وجدرانها المزخرفة تتلهف الى لمسات يديك ، ومكتبتك تكاد كتبها تقفز من رفوفها حبا لنور عينيك ، وقلمك ينط فوق منضدتك حرصا على ان يكون بين اناملك ... ونحن اصدقاءك واخوانك وابناءك ها هنا نرثيك ، وكأنك ترثي لنا ، ونندبك وكأنك

(●) القيت في حمص في ١ - ٩ - ١٩٦٧ في حفلة تأبين الاديب المهجري الكبير

في الكهوف العميقة

ان نفسك تحمل شيئا من نفسي
ايها العملاق الضائع
المحيط الكبير يغسل قدميك
والشعاع يمر من بين اصابعك ممزق الاوصال
وفي الاعماق :
قارورة ، مغطاة بالغبار
عطرها كمين
كل يفنى وشيء خالد ابدا
شيء باق وحده في الكهوف العميقه
لا يدع السيف يخترق قلبه
سيغدو انشودة بيضاء
تغسل دموع المتألمين .. وتعلمهم الصمود
وستكون عزائي . !!

حلب — هناء الطيبي

تنوح علينا ونجتهد في الكتابة عنك ، وكنت تجد الراحة في الكتابة الينا .

يا ابا عيسى :

كانت حياتك شطرين : شطر في الحنين الى الوطن وانت في المهجر ، وشطر في الرغبة في العودة الى المهجر ، وانت في الوطن ، وظللت سنوات طوالا توقع مقالاتك باسم نزيل حمص ... ثم كأنما تصورت لك حفرتك هذه التي تنزلها الان ، فكففت عن هذا التوقيع ، فانت اليوم ولد من اولادها تحنو عليه حجارها السود وترابها الاحمر ، ويسقيه غيثها المدرار ، ويسقط عليه الطل عند الصباح وتهب عليه الرياح الصاخبات عند المساء ، وانت في تلك الحفرة نائم كأنك يقظان ، لان اثارك ما تزال تنطق باسمك ، ويقظان كأنك نائم لانك لا تستطيع ان تضيف الى ما كتبت اثرا جديدا ، ونحن ها هنا وراءك نعد ايامنا التي تفصلنا عنك ، ولياليننا التي نقضيها بعدك ، ثم لا ندري مهما نكن ماهرين في الحساب متى نلتقي ؟ وانت تقول لي في شيء يشبه الغضب ؟

وانت ايضا تريد ان تموت ؟

واقول لك صادقا : كلا والف كلا ، ما ازال - والحمد لله - لا احسد احدا على موته ، لا يحسد الموتى الذين يرقدون في بطن الارض الا الموتى الذين يدبون على ظهرها ولكني اريد ان اعيش لاشترك في عمل كبير :

اريد ان اشهد العدوان يتكسر على صخور قومي ،
اريد ان ارى عودة الوحدة الى وطني
اريد ان المس صرح الحضارة الجديدة الذي تبنيه امتي ...

لا اريد ان افرح بوجودي فردا ولكني اريد ان افرح بوجودي امة . وعندئذ ، عندما يندحر العدوان ويرتد خاسئا ، وهو حسير ، عندئذ ، عندما تتحقق الوحدة ويصبح حلم مائة مليون من ابناء امتي عروسا حلوة ملء السمع والانف والعين .

عندئذ عندما نبني حضارة الانسان بكل انسانية الانسان . عندئذ هيء لي الى جانبك مضجعا في ارض حمص ، قل لبنات حمص يسفحن علي من عيونهم الجميلة عبرة ، قل لرجال حمص يلقوا على جثتي كمشة من تراب ، قل لصاحب النول في باب الدريب يعد لي كفنا باهر النسيج ، قل للحفار يشق لي قبرا في التراب الاحمر على درب فيروزة ، قل للحجار تتلألأ تحت معوله الاحجار السود كما يتلألأ الماس .

وهيهات ... هيهات يا ابا عيسى .. فلست اعيش مثلك في حمص فاتمتع بطيبات الموت كما تمتعت ، انا اعيش - كما تعلم - في دمشق ، ونحن هناك في العاصمة نملك جمعية تتولى دفن الموتى على احدث اساليب الحضارة في القرن العشرين : الاكفان ، لكل واحد منها ثمن ، والقبور ، لكل واحد منها ثمن ، وحتى الصلاة والآذان لهما ثمن ... جمعية يهمها من الموتى ثلاثة ارقام : العدد ، الربح او الخسارة ، اليكون ...

ولقد حققت هذه الجمعية اهدافها في شكل رائع ، حتى ان الناس هناك يتحدثون انها سوف تتطور في سرعة خارقة ، وان الموتى - عما قريب - سيموتون اوتوماتيكيا ، ويغسلون انفسهم اوتوماتيكيا ويقبرون انفسهم اوتوماتيكيا ، وآنذاك ستفتخر الجمعية انها حققت اقصى منجزات الحضارة في القرن العشرين .

وآنذاك سيقتصر حديث الناس عند موت موتاهم على النجاح الباهر الذي حققته جمعية دفن الموتى ، وعلى اسعار البصل والباذنجان في سوق الهال .

اما انا فاعاهدك يا ابا عيسى اني سافر اليك من العاصمة فرارا . ساعود الى بلدي ذات يوم حيا او ميتا .

حيا ، وانا عجوز ، يتبعني الصبيان في ازقة حمص وهم يصرخون : انظروا : لقد كان هذا في يوم من الايام معلما مجنونا يعلم في وجدان . ويلحق بي الكتاب والشعراء الجدد ثم يكتبون : اقرؤوا لقد كان هذا ذات يوم كاتبا احمق : يؤمن بالمثل العليا . كان شاعرا ابله : ينظم قطرات دمه شعرا ، ويرثي احبابه وكأنما يرثي نفسه . وسيطاردني الاطفال هاتفين : اسمعوا لقد كان هذا في يوم من الايام يحب الاطفال ، يقبلهم ، يحشو جيوبه جوزا ولوزا وسكاكر ليطعمهم ، كان يقول لهم : تعالوا الي فاني اشم فيكم روائح الجنة .... عطر المستقبل ...

وانا اسير في بطء اقرع بعصاي طريقي ... واضحك من كل قلبي من ذلك المجنون الكبير الذي كنته ذات يوم .

ساعود الى بلدي ذات يوم حيا او ميتا .

ميتا مسجى في تابوت على ظهر سيارة - كما فعل اخوتي وابناء عمومتي من قبلي - جسدا يسبق السيارة التي تحمله ويطير شوقا الى الارض الحبيبة التي سوف تضمه ، ولسوف يعجب السائق ويخاف - في السيارة ساحر ... شيطان او ملاك ... وانا اضحك في خبث واقول له ، هون عليك يا صاحبي ... فليس في السيارة ساحر ؟ ولا شيطان ولا ملاك ، فيها انسان مشتاق يحن الى مشتاق بعد طول فراق .

يا اخي واستاذي نظير :

حسبي من رثائي لنفسي ما كتبت : لست اريد ان اوجع القلوب البيض التي تتوجع لفقدك اكثر مما توجعت ، ولا ان ابكي العيون السود التي تبكي لموتك اكثر مما بكت ، حسبي ان اضمك الى زاوية من زوايا قلبي جرحا جديدا ، وان اضعك في حنية من حناياه قرحا جديدا ، ان كان ثمة في قلبي مكان لجرح جديد .

دمشق — عبد المعين الملوحي

الموظف الجديد

بقلم عبد الحميد الانشاصي

قصة

محمود بك ، رئيس الديوان ، لطيف يساير المراجعين ويكسب ودهم بكلمة معسولة او بفنجان قهوة يقدمه الى كل منهم . تفيض الابتسامات من وجهه في سهولة وتفيض منه في سهولة . يرحب بالمراجعين بصوت قوي مشبع بالثقة بالنفس والايحاء بالاحترام . انه قوي الاعصاب صلب العضلات وان كان متقدما في السن قليل شعر الراس ذابل العينين من كثرة التحديق في الاوراق الرسمية متقبض الجبين والخدين من كثرة صراعه مع الزمان .

(محمود بك رزين عبوس لئيم يعامل الموظفين الصغار الذين يعملون معه في شدة وحذر وخبث . يأمر كثيرا وينتقد كثيرا . سليط اللسان لا يعرف معهم الحياء والانسانية والذوق . كل همه ان يكون مسيطرا متفوقا آمرا ناهيا) .

— هل تعرف الموظف الجديد الذي عين مساعدا لك يا محمود بك ؟

هز محمود بك راسه في رزانة ثم اجاب في هدوء :

— كلا .

فابتسم رشيد ابتسامة متفتحة طويلة العمر ثم قال :

— انه جامعي متخصص الى التاريخ والفلسفة .

(حمار لا يفهم من الدنيا شيئا . ولست ادري كيف نال الشهادة) .

— متخصص الى التاريخ والفلسفة ؟ وما حاجتنا الى موظف كهذا ؟ اننا في حاجة الى موظف يتقن الاعمال الرسمية . خير له ان يعمل استاذا في مدرسة لا مساعدا في هذه الدائرة .

(ان امر الوزارة عجيب . لست ادري السبب الذي من اجله ارسلته الى هنا) .

— مسكين ! انه لم يوفق في شغل منصب استاذ في مدرسة فلم يجد بدا من ان يعمل موظفا في دائرتنا .

(انه جامعي بائر ، فلست ادري كيف تحتمله) .

ثم التفت رشيد الى محمود بك قائلا :

— متى يقدم ذلك الموظف ويباشر عمله ؟

— اليوم .

وبعد برهة دخل زهير . شاب في مقتبل العمر مبتسم الوجه لامع الحدقتين طويل القامة انيق اللباس جميل المظهر . قدم نفسه الى رئيس الديوان وصافحه هو ورشيدا .

(شاب طموح يكتم في نفسه ثورة عارمة ويتمنى لو ان كل شيء انقلب راسا على عقب وصب في القالب الذي يريده) .

— اهلا وسهلا ! تفضل ! ....

هات فنجانا من القهوة يا ربحي .

جلس زهير بجانب رئيس الديوان ، واخذ يسرح نظره فيما حوله من اضابير وسجلات وعلب لحفظ الاضابير .

— كيف حالك ؟

— حفظك الله !

ثم قدم الى زهير فنجان من القهوة ، واخذ يحسو ما فيه في تؤدة ورقة وادب . وبعد قليل دخل الآذن وانبأ رئيس الديوان بالذهاب لمواجهة المدير . ثم خرج محمود بك ورشيد من الغرفة ، وبقي زهير وحده فيها .

وبعد بضع دقائق اخذ الموظفون يدخلون الغرفة بحجة البحث عن اضابير والحافز الحقيقي لذلك هو رؤية الموظف الجديد زهير وتعرف اخباره . راحوا ينظرون اليه من طرف خفي ، واخذ بعضهم يحادث بعضا ملمحين اليه في جراة :

« لم يبق علينا الا ان نعلم تلاميذ قم ! الى بيتك ! من مدرسة الى مدرسة ! » .

ثم خرجوا . ودخل محمود بك ، وطلب من زهير ان يكتب مسودة كتاب .

— لا . لا تكتب الكتاب في هذا الشكل .

(انك جاهل في هذه الامور) .

ويجري رئيس الديوان قلمه على ورقة امامه بسرعة فيكتب كتابا آخر ، ثم يقرؤه متشدقا ويقول ناظرا الى زهير :

— يجب ان يكون الكتاب الرسمي موجزا ومؤديا المعنى المطلوب في وضوح ودقة .

(انك في حاجة الى وقت طويل لتتعلم كتابة الكتب الرسمية) .

فحدجه زهير بعين ساخطة دون ان يفوه بكلمة .

خرج رئيس الديوان . ثم دخل الموظفون الغرفة ، واخذوا يصافحون زهيرا مرحبين ، وجلسوا بجانبه يحادثونه :

« ما فرع المعرفة الذي تخصصت اليه ؟ الحياة مدرسة ثانية . لماذا لم يعينوك استاذا في مدرسة ؟ الخبرة شيء غير العلوم . الانسان يقضي عمره كله وهو يتعلم . اهلا وسهلا »

ثم انصرفوا . وقد شعر زهير ان كلا منهم اغمد فيه خنجرا ومضى جعل يقلب عينيه فيما حوله في سخط وذهول وكآبة . شعر بالغربة في اول يوم من ايام عمله في تلك الدائرة ، وشعر ايضا انه من العسير

عيه أن يعمل في راحة وهدوء . لا بد له من الجهاد والمقاومة ليحتفظ بوظيفته بين اولئك الموظفين الذين لم يتخذ من بينهم صديقا له بعد .

(اصوات من الداخل : سأريكم كيف اتفوق عليكم . انني وان كنت الآن لا اتقن ما تتقنون من الاعمال الرسمية لا بد ان اتقنها فيما بعد مستعينا بما امتاز به عليكم من معارف وسعة اطلاع) .

(منظر في الداخل : يقطب في وجوه الموظفين ، ثم ينطلق لسانه محدثا عن الجامعات واهميتها وعن الثقافة العامة واثرها في الاذهان والنفوس والطباع . فبدا استاذا امام تلاميذ .)

✶

— ما بالك مطرقا مفكرا ؟ اين يسرح فكرك ؟ لك ايام وانت في هذه الحال .

— لا شيء .

(انني مغموم . اكاد انفجر ضيقا) ثم صمت بعد ابتسامة من زوجته وابتسامة منه . ابتسامتان موجزتان احداهما حية والاخرى ميتة .

جلست ليلى بجانب زهير ملتصقة به وقالت في دلال :

— لا بد ان يكون هناك شاغل لذهنك . ان هذا لم يكن من عادتك قل لي ، ماذا تشكو ؟ كن صريحا يا حبيبي .

(انني لا اصدقك . انت كثير الكتمان . أريد ان اشاركك في مشاغل نفسك كما اشاركك في الحياة المنزلية) .

وجه فاتن فيه مفناطيس خفي يجذب اليه انظار المعجبين ، وفيه تفتح غريب يسر العيون بشكله كما يسر النفوس برائحته الخفية . انها قطعة بشرية فنية تحل الاعجاب محل الفم وتلهي بحركاتها وحديثها عن الاستسلام الى التفكير .

(ان الثورة المكبوتة في نفس زهير اقوى من جمالها . غلت يديه وقيدت رجليه ، وحبست لسانه وجمدت نظراته ، واحاطت وجهها الفاتن بضباب خفي من غمه ، ووضعت في اذنيه قطنتين من ذهوله)

— ان الموظفين الذين اعمل معهم ثقلاء لئام .

وانطبقت شفتاه في قوة وتقطيب كأنه عض كتف احد زملائه الموظفين من الفيظ .

فتنهدت ليلى وقالت :

— ماذا رأيت من لؤمهم ؟

ولكنه لم يجبها . شعرانه ان اجابها عن سؤالها اظهر ضعفه امامها . أجابها عن سؤال ود ان



عبد الحميد الانشاصي

●

تساله اياه بدلا منذلك السؤال الذي لم يطق سماعه فقال :

— لقد ابغضوني لانني امتاز عليهم بما كسبته في الجامعة من معارف وعلوم .

(انهم اشباه اميين . معلوماتهم لا تتجاوز اللغة الرسمية وتسجيل الاوراق وحفظها في الاضابير وحفظ الاضابير في الخزائن) .

فالقت ليلى يدها على كتف زوجها في رقة وقالت :

— سايرهم يا عزيزي . ومع الوقت ينشأ تفاهم بينك وبينهم . قدم اليهم علبة سجائرك . اشتر وقية شوكلاته من النوع الفاخر وقدمها اليهم . ان السجائر والشوكلاته لا تكلفك الشيء الكثير من النقود ولكنها تجلب اليك الشيء الكثير من الهناء وصفاء الذهن .

(انك خريج جامعة وواسع العقل يمكنك ان تدبر امورك بينهم)

فهز زهير رأسه في تألم وقال في عناد :

— انهم لا يستحقون سيجارة واحدة ولا قطعةواحدة من الشوكلاته

(انهم يستحقون الصفع واللكم والضرب)

فأطلقت ليلى ضحكة موسيقية ثم قالت :

— اوف ! هل انت ساخط عليهم الى هذا الحد ؟ ماذا فعلوا بك ؟

— لقد ائتمروا بي قبل ان اباشر عملي .

(كأنني عدو لهم ، وان لم اسيء اليهم في حياتي ابدا بل لم اعرف منهم احدا) .

— تجاهل اعمالهم وجاملهم . عاملهم بحلم يخجلوا من انفسهم .

— انهم يعدون المجاملة غباء والحلم ضعفا .

— جرب . حاول ...

— لقد خبرتهم .

— لا بد ان يغيروا سلوكهم في النهاية .

— سوف اغير سلوكهم في النهاية

✶

— اين وضعت كتاب مدير دائرة الاشغال العامة ؟ في اي اضبارة وضعته ؟

(لقد ارتكبت الوزارة خطأ كبيرا حينما عينتك وارسلتك الي مساعدا)

— ان ترتيب اضابيركم ليس صحيحا . يجب ان ينظم فهرس آخر للاضابير يختلف عن الفهرس الحالي .

(اتركوا لي هذه المهمة وانا اريح الدائرة بما ابتكره من ترتيب جديد)

— هه ! عظيم ! فيلسوف ! ان

هذا الفهرس ثمرة لحك ادمغة كبار الموظفين وذوي الخبرة . ولا يمكنك ان تزيد حرفا واحدا على ما ابتكروا

(خير لك ان تعود الى الجامعة لتأخذ دروسا في كيفية القيام بالاعمال الرسمية وكيفية شغل وظيفة كوظيفتك) .

وهكذا احتدم الجدال بين محمود بك رئيس الديوان ، وزهير مساعده . وكان الثاني يتكلم وهو منهمك في البحث عن كتاب مدير دائرة الأشغال العامة في الاضابير الكثيرة التي يعلو بعضها بعضا في الخزانة المعدة لها . كان يبحث في غيظ وحركة عصبية كادت تمزق أوراق الاضابير كأنما أراد ان يمزق ثياب رئيس الديوان من سخطه عليه وبغضه اياه . لقد شعر بألم شديد يحز في نفسه حينما أسمعه رئيس الديوان تلك الكلمات الجارحة . استكثر على نفسه أن يجرح ذلك الموظف الذي لم يبلغ من الثقافة خمس ما بلغه هو منها — كرامته ويحط من قدره من أجل كتاب وضعه في اضبارة غير الاضبارة المعدة له . انه حديث العهد بهذا النوع من العمل . فلم لا يعامله رئيسه بحلم ولطف حتى يتقن عمله؟

قال رئيس الديوان في جمود :

— ابحث عن الكتاب في جميع الاضابير التي في الخزانة حتى تعثر عليه . ليس هناك طريقة غير هذه الطريقة .

غاظه هذا الامر يلقيه عليه من لا يستحق أن يكون أعلى مقاما منه ، فتوقف عن البحث في صلابة واباء ممسكا خصريه بكفيه وناظرا الى محمود بك في تحد وتمرد . فحدجه هذا بنظرة منذرة ، ثم خرج من الغرفة في سرعة . وبعد قليل عاد الى مكانه قائلا لزهير بنغمة مشبعة بالكبرياء والتشفي :

— المدير يريد أن يراك .

(اذهب اليه لكي تأخذ نصيبك من التحقير فتتعلم كيف تنفذ أوامري) .

حينما دخل زهير على المدير وجده عابسا ومتحفزا للوثوب عليه بمخالب من الكلمات السامة وبنيوب من الالفاظ الحادة .

— انك دائما تضيع الكتب التي ترسلها الدوائر الى المكتبة . فأين يسرح ذهنك حينما تضعها في الاضابير ؟ انك بعملك هذا تضيعنا وتضيع اعمالنا . يجب ان تعمل بعقل .

(كأنك لم تتلق في الجامعة من العلوم شيئا) .

فقال زهير في حدة :

— انني أعمل بعقل .

(لو أن في الدنيا انصافا لكنت رئيسا عليك) .

— اخرج .

(حيوان) .

— هذه كلمة ثقيلة لا توجه الى رجل مثلي . انني لست خادماهنا . لماذا لاتترك لي فرصة اتفاهم فيها معك ؟ ان الفهرس يعوزه ترتيب غير الترتيب الحالي . ورئيس الديوان يأبى أن يكل الي اعادة ترتيب الفهرس . دعوني ارتبه .

— ان رئيس الديوان هو المسؤول عنه ، وما عليك الا أن تعمل بما يقوله لك .

خرج زهير ينتفض سخطا . وحينما دخل على رئيس الديوان صوب اليه نظرة حادة كاد يلتهمه بها ، ثم قال بصوت قوي مرتفع :

— لابد من تغيير ترتيب الفهرس . لابد من تغييره . بغير ذلك لا يمكن ان ينظم العمل في هذه الدائرة .

(أصوات من الداخل : كلكم لئام ! انكم متآمرون علي . ولكنني لن أخضع لكم . سأغير الفهرس كله سواء أرضيتم أم ابيتم) .

(منظر في الداخل : يمسك زهير محمود بك من يده ويجذبه اليه في عنف ، فينهض عن الكرسي مرغما ، ويجلس زهير في مكانه ويأخذ في ادارة عمل الدائرة) .

قال محمود بك في هدوء متكلف ونغمة ساخرة واضعا كفه على خده :

— كيف تغير الفهرس ؟

(غيرك الله) .

— ارتب فهرسا في سجل بأرقام الكتب التي ترسل الينا من الدوائر وتواريخها وموضوعاتها — كتب كل دائرة على حدة مع بيان ارقام الاضابير التي وضعت الكتب فيها .

(هل فهمت الآن يا غبي ؟) .

فقهقه رئيس الديوان ثم قال :

— فلسفة جديدة ! (لا شك انك مجنون) .

*

« — انا لا اطيق العمل مع رئيس الديوان . انه جلف . والمدير أجلف منه .

— واذن فخير لك أن تنتقل الى دائرة أخرى فقد تجد فيها موظفين تنسجم معهم .

— لا ، لا . اريد أن ابقى في هذه الدائرة . — لماذا ؟ هل تريد ان تظل تعمل بينهم حتى ليتلفوا صحتك ويقضوا عليك ؟ دعهم وشأنهم وانتقل الى وزارة التربية والتعليم مثلا فان كثيرين من موظفيها من حملة الشهادات الجامعية . انك تستطيع ان تتفاهم معهم في سهولة . — كلا ، كلا . يجب ان اقاوم اولئك الاوغاد حتى انتصر عليهم . اما انا او هم . »

وبينما كان زهير وليلى غارقين في الحديث اذ دخل عليهما اخو ليلى ، فأنبأته هذه بما جرى لزوجها مع الموظفين والحت عليه بأن يقنعه بالانتقال الى وزارة التربية والتعليم حيث يعمل أخوها . فالقى هذا يده على كتف زهير ومال برأسه الى ناحية ، وقال بنغمة هادئة مخففة :

— واذن فأنت متضايق من العمل في الدائرة .

ولكن زهيرا خجل ان يكون صريحا معه لئلا يبدو امامه ضعيفا . لذا لم يبد تأففا من عمله في الدائرة بل

حب بلا قيد

دعني فاني قـد عرفت طريقي — وعرفت أنك منقـذي ورفيقـي
وعرفت أنـك قـد غزوت جوانحي — بروائـع النجوى لقلـب مشوق
فعمرت قلبـي بالمحبـة وانثنـى — جـدب الحيـاة مفارقـا لطريقـي
وفتحت لـي افقـا جميلا خيـرا — يفضي بمعنـى للحيـاة عميـق

ان كنت أدعى فـي غرامك مارقـا — أو كنت ضمنـا مؤمنـا بعقوقـي
انـي احبـك لا ابالـي لائمـا — ما كنت في حبيك خـدن رقيـق
اذ لـم تكن قيـدا يذل مشاعري — أبـدا ولا ذنبـا يقـر مروقي
أحببتني حبـا أضيـق بـرفضه — اذ لسـت مأسورا ولا بوثيـق
حتى الوفاء ابحت لـي هزئي بـه — أنقذتني مـن هـاجس المشـوق
ومنحتنـي حريتـي أطلقتنـي — مـا كـان حبـك موثقـا لطليـق

دمشق — سلافة العامري

لزم الصمت والكتمان . فقال أخو ليلى مواصلا كلامه :

ــ لا بـد مـن نقلك الى وزارة التربية والتعليم فقـد كان تعيينك في هذه الدائرة على سبيل الخطأ . وان المستوى الثقافي للموظفين هناك أعلى بكثير مـن المستوى الثقافي لزملائك . دعني اسعى لك .

فهز زهير راسه بالنفي ، وقال في هدوء مصنوع :

ــ لا رغبة لي في الانتقال .

(أنني لست جبانـا حتى انهزم وافر من بين أولئك الأوغاد) .

ــ لماذا ؟

(هل ترضى ان تعيش مهمومـا مغلوبا على أمرك ؟) .

ــ اريد ان اقيم برهانا لزملائـي انني اكثر نفعا منهم وأوسع عقلا .

ــ ولكنهم كثيرون وانت واحد .

(لا بـد ان يتغلبوا عليك فـي النهاية) .

ــ وان يكن .

(محال ان انسحب من بينهم . لا بد من ان اتفوق عليهم) .

*

قدم محمود بك استدعاء الـى المدير يرجوه فيه منحه اجازة مدتها ثلاثون يوما يقضيها في ربوع لبنان للاستجمام . وقد وافق المدير على طلبه . وفي غيابه اسند العمل الى زهير . الآن خلا الجو له . ليس من آمر عليه في الغرفة التي يعمل فيها واذن فان في امكانه ان يغير ترتيب الفهرس كما يشاء . ولكن لا بد من ان يجهد نفسه ويرهق أعصابه ليحقق امنيته . امامه الآن فرصة قد لا تعود اليه ان هو تركها تمر دون ان ينتهزها .

أخذ يكد ويدأب موجها جهده نحو ترتيب الفهرس . بـذل كـل مـا يستطيعه من جهد ، واعمل فكـره في تنفيذ طريقته الجديدة ليريـح نفسه ويريح الموظفين عند استعمال الفهرس . عمل في الدائرة وفـي المنزل . راح يسهر في المنزل حتى ساعة متأخرة من الليل . ان ذلك العمل ليتطلب جهدا شديدا . ولابد من ان يضطلع به مهما كلفه الامر .

واخيرا اتم عمله . اعـد فهرسا جديدا يسهل استعماله على كـل موظف ، ثم عرض ما ابتكره علـى المدير ، فرفع حاجبيه ووسع عينيه اعجابا بما رأى وقال لزهير مبتسما ابتسامة الرضى :

ــ ان طريقتك ممتازة . مدهشة ان هذا لم يكن يخطر ببالي ابدا . احسنت !

(لا شك انك اذكى وابرع مـن محمـود بك واجـدر منه بـرئاسة الديوان) .

ولم يكـد زهيـر يسمع ذلـك التقدير من المدير حتى شعر بارتياح عظيم ، وايقن انه اصبح سيد الموقف بين الموظفين .

(اصوات من الداخل : لقـد نجحت . انا الآن سعيد . هناك عدل في الدنيا . هناك اشخاص منصفون)

(منظر في الداخل : يجلس زهير الى طاولة رئيس الديوان ويأخذ في الكتابة عليها) .

ولما عاد محمود بك من اجازتـه وعلم بالامر كاد يصعق غيرة وحسدا . ولكن المدير لم يمهله حتى ينتقم من زهير بل اوصى بنقله من مكتبه الى مكتب آخر من الوزارة ، واستمـر زهير على عمله رئيسا للـديوان ، واكتسب شهـرة واحتراما بين زملائه .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



ظافر القاسمي

منـــام

بقلم ظافر القاسمي

* * *

أويت الى رابية من ربى لبنان ، فرارا من الحر اللاهب الذي اجتاح بيروت ، ومن هذه القائظة التي تضيق على الناس الانفاس ، ولانعم بالنسيم العليل الذي وهبه الله لهذا الجبل الاخضر ، فكان آية الآيات بسحره وجماله ، وبما زينه من بديع صنعه ، وبما استحدثت به يد الانسان من مفاتن . وقد بدا لي ذات يوم ان اتجول في احراجه ، وان امتع البصر والنفس جميعا بالهدوء الساجي الذي يطلق النفس من محابسها ، ويرسلها على سجيتها ، وينبه فيها غرائز الحق ، وبواعث الحب ، ومنابع التفكير السليم ، والمنطق المستقيم ، فاستظللت بشجرة من اشجار الصنوبر ، استوى ساقها ، وتفرعت اغصانها ، حتى اضحت كالظلة الحلوة ، خضرتها سندسية ، واستدارتها كروية ، ومنظرها يبعث الراحة والاطمئنان، ومن بين اغصانها تنطلق اصوات « الزرازير » ، التي تتحدث عنها الاساطير ، ويحلو لاهل الجبل الاخضر — لبنان — ان يفسروها ، كأنهم قد اوتوا حكمة سليمان، فيقولون : ان هذين الصوتين المختلفين ، نداء بين مخلوقين ، احدهما اسحاق ، والثاني يعقوب ، ولا ينفكان يناديان بعضهما ، آناء الليل واطراف النهار .

في هذا الجو الساحر ، جلست ساعة اتأمل ما حولي من الروابي ، وما فيها من احراج احدثتها يد الله، وما في هذه الروابي من بيوت بديعة التنسيق ، قد علتها تيجان حمر من القرميد ، فائتلفت خضرة الشجر ، مع بياض الحجر ، ومع حمرة العمـــرة . والظاهر ان النعاس قد اخذ بمعاقد اجفاني فاغفيت ، مسندا الى الشجرة الخالدة ظهري ، ومسلما الى رب العرش العظيم امري . والنائم — كما تعلم — قد تعتريه الاحلام ، فيرى فيها صورا قد تكون احلى من صور اليقظة واروع . ولا جناح عليك اذا انــت ذهبت مذهب علماء النفس ، والباحثين في اللاشعور ، واعتبرت ان هــذه الاحلام ، التي تنتاب الانسان في المنام ، انما هي انعكاس لهواجسه في اليقظة . كذلك لا حرج ان شاء الله ان انت اعتبرت الاحلام صورة من صور العالم الاخر ، كما يرى بعض رجال الدين ، ممن ارهق نفسه في تفسير الاحلام . وايا ما كان ، فقد حلمت ، يعني رأيت مناما ، كما نقول بالعامية الدارجة . ولست ادري هل اكتب هذه السطور وانا في اليقظة او في المنام ؟ وكل الذي ادريه ان هــذه السطور قد كتبت . وقد لا يعنيك ما رأيت ، كما لايعنيك ان تقرأ ما كتبت ، فاذا كان لديك بعض من فراغ ، وانت محتار كيف تملؤه ، وخيل اليك ان فــي قراءة هــذه السطور بعض المتعة لك ، او مـــا يسميه الفرنسيون : « فقدان الاجود faute de mieux » فانت حر ، وليس لي عليك سلطان ، بل العكس هو الصحيح ، القارىء هو صاحب السلطان على الكاتب ، له ان يحكم بما يرى انه الصواب ، او الحق . وقديما قيل : « مـن الف فقد استهدف » ، هذا على الرغم من انني بعيد كل البعد في هذه الاسطر عن التأليف !

رأيت يا سيدي انني قد امتطيت جناح طائر . ولم يكن هذا الطائر « القطا » الذي تمنى الاعرابي ان يستعير جناحه ، لعله يطير الى من قد هوي ، كذلك لم يكن هذا الطائر من نوع « البوينج » او « الكارافيل » او غيرهما مما استحدث الانسان في هذا الزمان . وليس فــي مقدوري ان اصف لك جناح الطائر الذي امتطيت، لسبب بسيط واضح ، هو انه « شفاف » ، كأنه مـن نور ، او بالنور اشبه . ولا ادري كيف استويت عليه بثقلي ، ولكنني ادري انه احتواني ، وانني كنت فــي امتطائه مرتاحا ، ايما راحة ، لم اعهدها ابدا في هذه الطائرات التي حلقت بي في الجو ، على كثرة ما امتطيتها فــي رحلاتي . ولست اذكر المادة التـي صنع منها مقعدي . انها ليست ريش النعام ، ولا شيئا يشبهه . ولعلي اجاوز الحق اذا انا تصورت ان مقعدي كان مركبا مـن مادة ، فلقد اخبرتك ان طائري « شفاف » ، فكيف يمكن ان يكون مصنوعا من مادة . وعلى انه لم يكن في صحبتي احد ، كنت اشعر بأن الدنيا كلها كانت معي ، وانما اعني دنياي أنا : اهلي واصدقائي واحبائي جميعا ، وحتــى مكتبتي . كأنهم كانوا يحتفلون بي لسبب من الاسباب ، او كأني انا الذي احتفل بهم ، وما لي لا اقول احتفل بلقائهم . ولم يكن في هذه الرحلة الجوية كلام ، ولا طعام،

ولا موسيقى ، ولا مضيفات ، ولا انوار خضراء ولا حمراء ، مما الف الناس في رحلاتهم الجوية ، وكذلك لم يكن صمت . ولو سألتني عن الذي كان ، لاجبت بكلمة واحدة ، هي « النعيم » . ان الناس يتحدثون عن هذا « النعيم » في الحياة الدنيا ، وتتحدث عنه الديانات في الكتب المقدسة ، في الحياة الآخرة . تحدث عنه البحتري في انفاس الاحبة ، وتحدث عنه غيره كثيرون . واكاد اجزم ان احدا من اهل الدنيا لم يستمتع به كما استمتعت انا في هذه الرحلة على جناح الطائر الشفاف . لقد شعرت به الى الاعماق ، وكدت اقبض عليه بكل قواي ، لئلا يفلت مني ، ولعلي حاولت ان اشق عن صدري لاغلق جوانحي عليه ، لكي لا اغادره ابدا ، او لكي لا يغادرني هو .

وسلك بي الطائر طرقا جوية لا عهد لي بها ، ولم يكن في وسعي ان اسأله عن غاية الرحلة . ولكني كنت اتبين ، وانا في الجو ، معالم ليست غريبة عني ، لعل بعضها مما عرفت ، ولعل بعضها مما نسج خيالي ، ولعل بعضها مما تمنيت ان يكون . ولقد كان مركبي «الشفاف» يعرف ما في نفسي على ما يظهر ، فبعد ان ارتفع بي في الجو آلاف الاقدام ، اخذ يهبط رويدا رويدا ، فلما دنا فتدلى ، عرفت انني فوق منطقة استأثرت بحبي كله . لقد مر طائري فوق « مضايا » (١) ، ثم اجتاز « بقين » (١) ، ثم انحرف قليلا ليمر فوق « الزبداني » (١) و « حاليا » (١) ، حتى اذا اقترب من « بلودان » (١) رأيته يحوم فوق بيت يقع على الطريق من «ابي زاد »(١). لقد عرفت فورا انه بيت استاذي وصديقي شفيق جبري . هذا البيت الذي ابتناه حجرا حجرا ، وجعل فيه مكانا يمكن ان يكون ذات يوم حديقة ، وما هو اليوم بالحديقة ، لان الشاعر الكبير لم يغرس فيه زهرة ولا نبتة ، او هكذا تركته قبل سنتين على الاقل . فلما هبط الطائر « الشفاف » ، وانال قدمي ظهر الارض ، رأيت الصديق الشفيق ، على عهدي به ، قد انتحى زاوية من الرواق ، واشتمل بعباءته ، ونثر امامه وعلى جانبيه المعاجم ، وبعض اجزاء الاغاني ، والاقلام والقراطيس ، وقعد ينخل « بقايا الفصاح » (٢) ، ويعيش مع أئمة الشعر في ازهى عصوره ، ويردد عجبه من الحكم الذي اصدره « بلا شير » على الاصبهاني ، في انه « لم يكن صاحب اسلوب » (٣) ، وكأني سمعته يقول مع حسن حسني عبد الوهاب (٤) : هؤلاء المستشرقون لم يعرفوا شيئا ذا بال عن الثقافة العربية حتى اليوم . ان كل الذي عرفوه هو « المنهج Méthode » . ومن تتبع اخطاءهم ـ وما اكثرها ـ لرأى العجب العجاب !

نهض الصديق الشفيق لتحيتي ـ او هكذا رأيت في المنام ـ على عادته ، بعد ان وضع ما في حجره من كتب واوراق ، وكان وئيد الخطو ، كما يمشي الوجي الوجل ، واخذت قامته المديدة في غير سوء تتهادى فيما سماه هو الحديقة ، هاشا باشا ، وقد فتح ذراعيه ، وعانقني عناق المشتاق ، فلما استقر بنا المجلس قال :

ـ أي ريح طيبة جاءت بك ؟ قلت :

ـ انه شهر آب . كنت في السنة الماضية في « الدمام » في مثل هذا الشهر ، وما ادراك ما الدمام في شهر آب ! وقد ذكرت يومئذ مجالسي اليك في هذه البقعة المباركة من الوطن الصغير الجميل ، فكانت وسيلتي في تحيتك ان اكتب « انا والرياضة » ، وان اهدي ما كتبت اليك ، على صفحات « الاديب » . اما في هذه السنة ، فقد هيأت لي الاقدار رحلة اليك ، ارجو ان لا تسألني كيف كانت مطيتها ، ولعلك تعرف نبأها بعد حين . المهم اننا قد التقينا (ولو في المنام) ، فلنعب من نعيم هذا اللقاء ، ما وسعنا العب . ومن يدري ؟ فقد ينقضي عام آخر ، ولا نلتقي فيه .

ضحك الشاعر حتى بدت نواجذه ، واخذ في ترتيب الكتب والقراطيس المتناثرة ، فرجوته ان يدعها كما هي ، ففي تناثرها دليل الصدق في صحبتها ، وفي تصفيفها دليل اتخاذها زينة . وجلسنا متقابلين على سريرين ، ننهل ونعل من صافي الود ، ومن حديث الفكر والعقل ، ننبش القديم من الذكريات ، ونستشهد بمحكم الآيات ، ونتمثل بروائع الابيات ، حتى غدا مجلسنا روضا من رياض الجنة . وبينا نحن في هذا النعيم المتصل ، اذ ورد علينا شخص سريع الخطو ، والى قصر القامة اقرب ، كأنه يخشى فوات الفرصة ، فما كاد يقترب منا حتى عرفت انه استاذي وصديقي الاخر « بدوي الجبل » ، هذا الذي وفق الى اضاعة اسمه الاصلي الذي سماه به ابوه ، حتى لاكاد اظن انه قد نسيه هو ، واذا لم تخني ذاكرتي فقد سماه ابوه « محمد سليمان الاحمد » . هذا البدوي المرهف الحس ، الذي ملك ناصية لغة قريش ، فأحسن التصرف فيها ، واحكم اداءها ، وجرت في شعره كالعذب السلسل ، قد خف الينا وكأننا على ميعاد (ولا تنس دوما ان هذا كله في المنام) ، فقبلني على عادته مرة وثانية وثالثة ورابعة . ثم قعد ينفث عبارات الشوق والترحيب .

قلت للشاعرين العظيمين :

ـ ما اطيب هذا المجلس ، يلتقي فيه البدوي

---

(١) اسماء قرى ومواقع في اشهر واجمل مصطاف في سورية. (٢) هو عنوان لبحث متسلسل ينشره العلامة شفيق جبري في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ويذكر فيه الالفاظ الفصيحة التي مازال العامة يستعملونها ، ويخيل للناس انها عامية . (٣) وقد رد الاستاذ جبري على « بلا شير » في مجلة المجتمع بدراسة نشرت منذ سنتين. (٤) هو شيخ علماء تونس، وقد حدثني برأيه هذا في نيسان عام ١٩٦٤ في داره ، وكنت يومئذ اشارك في حلقة دراسات عقدتها الجمعية الدولية للعلوم التاريخية .

عيشة الاديب

جنتي عالم من الشعر فيه ... ما يشوق النفوس دوحا وزهرا
جنتي عالم يلونه الحسن ... فتسمو الحياة زهوا وسحرا
منهل للجمال تنهل منه النفس ... ما يملأ الجوانح بشرا ...
وتهل الاطياب في ضفتيه ... فتنث الاشذاء في الروض عطرا
فاغني لله اعذب لحن ... ستعيه الاجيال دهرا فدهرا
والتهاويل في الربيع تهادت ... تغمر النفس ، بالمسرة غمرا
والحساسين والبلابل تشدو ... فتثير الانغام ، روضا ونهرا
عرس للطبيعة البكر فذ ... باركته السماء سحرا وجهرا
تتعاطى الكؤوس فيه العذارى ... فيفيض الالهام في العيد شعرا
نقتل الجوع في النفوس ونطفي ... ظمأ قامحا تحول جمرا
واصطفاق الاوتار لمسة حب ... نضرتها اصابع الله نضرا
وارى عيشة الاديب عذابا ... حفرتها الغيوب في الصدر حفرا
شاعر ينظم الحياة قريضا ... ويذيب الانفاس في الشعر بئرا
كل ما في الوجود ملك حلال ... لاديب يفجر الشعر فجرا
فالسماء التي تعالت قبابا ... لقنته الالهام سطرا فسطرا
انه النسر سابح في فضاء ... ملأته مواكب الوحي نورا
يتهادى على الاثير اختيالا ... في رحاب الفضاء كالضوء حرا
فاخفض الرأس حرمة لاديب ... لم يفارق حوباه اثما ووزرا

لاباز — بوليفيا

جورج كعدي

والشفيق . ولم يكن هذا المكان وحده مكان لقائكما ، بل انتما ملتقيان ايضا في اذهان الخاصة ، لا بل خاصة الخاصة من الناس . وقد ادى هذا اللقاء ذات يوم الى تداخل شعريكما ، ونسبة ما لاحدكما الى الاخر . وليس هذا عجيبا ، ولا سيما في المواضيع التي كانت لكما فيها مشاركة . كنت ذات يوم من ايام تموز ١٩٦٢ في فندق شبرد ببحمدون . وقد فوجئت بصديق عتيق ، هو محمد احمد محجوب ، جمعتني معه مؤتمرات المحامين العرب . كان نقيبا للمحامين ، ثم اضحى وزيرا للخارجية، ثم رئيسا للوزراء . وهو قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، شاعر . ولعل من يلقاه لا يرى فيه رجل السياسة المحنك الذي قال عنه « تاليران » : « السياسي المحنك هو الذي يرتجل ما يقول ، ويعد ما لا ينبغي ان يقول » ، لا يرى فيه السياسي المحنك ليس غير ، بل يرى فيه ايضا ، وقبل هذا ، وبعد هذا ، الشاعر ، الذي يتذوق الجمال في كل شيء خلقه الله ، فيكاد يلتهمه ، او يكاد يذوب فيه . وقد قال لي ذات يوم : هل تحفظ قصيدة بدوي الجبل في حفلة تأبين المغفور له هاشم الاتاسي التي يقول فيها :

هذي الربوع بنو أمية اهلها ... المجد يضحك في ذراها الضاحي

قلت : ومن قال لك ان هذا البيت لبدوي الجبل ؟

قال : هكذا روي ، والقصيدة لم تصل الينا .

قلت : البيت لشفيق جبري ، لا للبدوي ، وهو من قصيدة عصماء ، سوف اقدمها اليك ، ولست اعجب في ان يتناقل الناس بيتا لجبري على انه للبدوي ، ولا العكس ، لانهما في هذا المضمار فرسا رهان ، وكم عارض احدهما الاخر في قصيدة من نفس البحر والروي.

وبينما كان الشاعران العظيمان يتساجلان في معارضاتهما ، كنت اشعر ان الطائر الشفاف قد اختطفني والقاني على جناحه ، وعاد بي الى الرابية التي اقلني منها ، وفتحت عيني ، فاذا انا مكاني تحت شجرة من اشجار الصنوبر ، في الجبل الاخضر .

ضهور الشوير — لبنان

ظافر القاسمي

تهنئة بيوبيل الاديب

لرشاد علي أديب

* * *

أزف التهنئات الى اديب محلاة (بيوبيل) الاديب
أجل مجلة علما وفنا وآدابا لدى الفطن الاريب
تفيد ثقافة وتنير فكرا وتنشي النفس بالرأي المصيب
حوت من كل معرفة ثمارا وازهارا ونفح هوى وطيب
فما الثمرات في البستان تزهو وما الزهرات في الروض الخصيب؟
تزين بحوثها الصفحات حسنا وتكسو النقد بالبرد القشيب
وتجلو من بنات الشعر غيدا حسانا فاتنات للقلوب
عرائس من خيالات وقصف وتصوير بديع أو نسيب
يتهن ملاحة ويضعن عطرا ويبدين العواطف للحبيب
فلا بدع اذا اشتهرت ودوى صداها في الشمال أو الجنوب
وجاز نتاجها الآفاق صيتا وعم النفع منها للشعوب
وأولاها بنو العرب احتفاء واعجابا بجوهرها العجيب
فتلك مجلة سمت ارتقاء ومنزلة برائدها اللبيب

هنيئا للاديب بما رآته من التكريم والود القريب
سبكت تحيتي درا بشعري وضمخت التحايا بالطيوب

بهجة الربيع

* * *

تاه الربيع بحسنه وتبخترا وحبا مفاتنه البهيجة للورى
وجلا السماء بلونه وصفائه وكسا بنضرته وروعته الثرى
ضحكت له الدنيا وأشرق وجهها وافتر بارق ثغرها مستبشرا
وتهللت جنباتها وتزخرفت هضباتها وسرى النسيم معطرا
وتخايلت بمطارف من زبرج وزبرجد فحلت وراقت منظرا
وتطاول الشجر المدل بظله وحفيفه متأنقا مخضوضرا
وتبسم الزهر اللطيف كمائما أحبب به متفتقا ومزررا
وشدت ولحنت الطيور غناءها فوق الغصون وفي الخمائل والذرى
حنت لها الغدران من وله بها فجرى وصفق ماؤها متفجرا
متلألئا في جريه مترقرقا كالماس أو كالدر شف مجوهرا
ان الربيع هو النعيم بأرضنا تحسو النفوس به الطلى والكوثرا
لم يبد في الكون البديع نظامه الا ليسبي مبصريه ويأسرا
بل لم يطل على الوجود جبينه الا ليخلب ناظريه ويسحرا
لله ما أحلاه فصلا رائعا تزهو حلاه وما ألذ وأنضرا

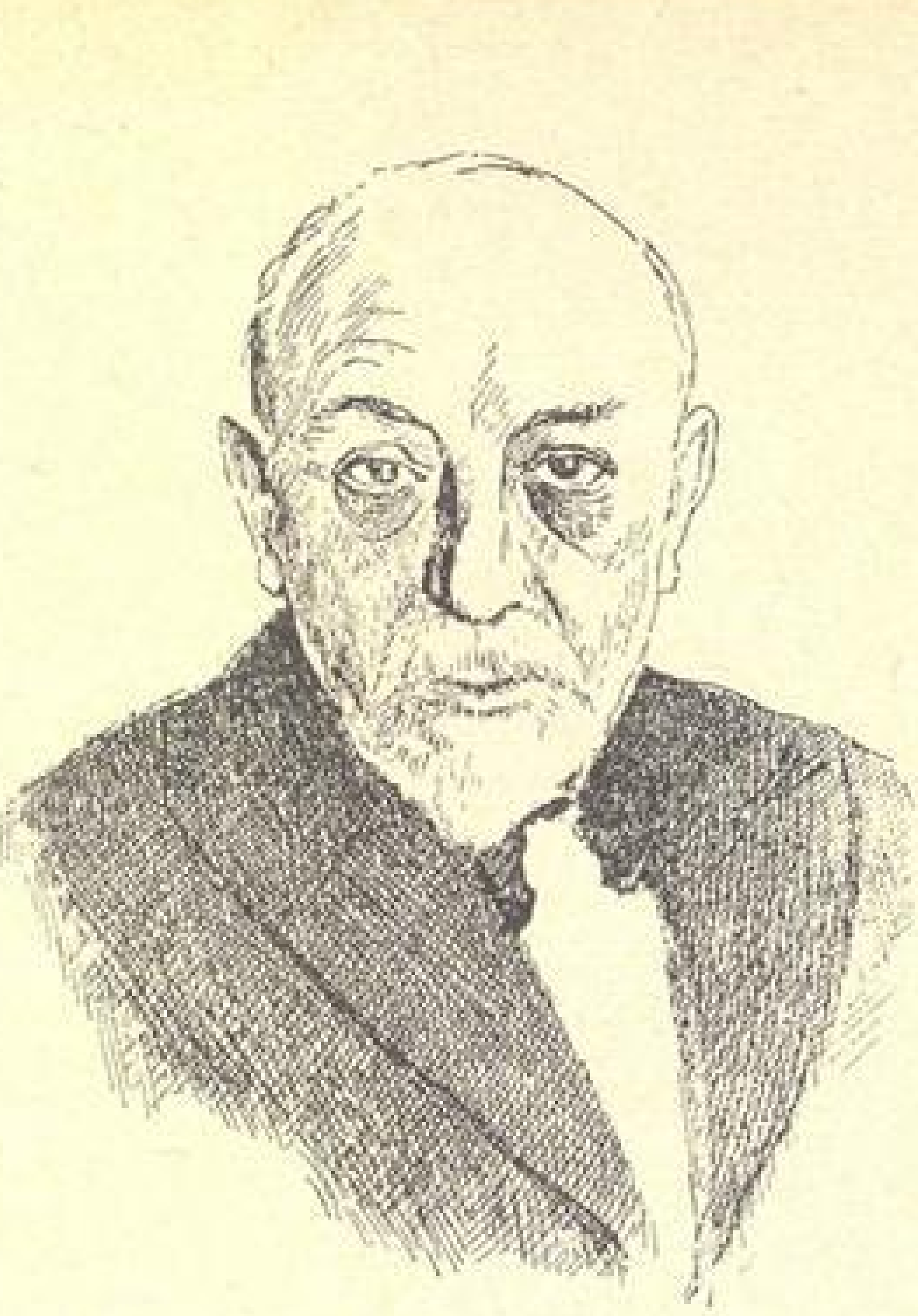
تجد القلوب به الحبور فتنتشي ... ثملا وما عبت رحيقا مسكرا
وترى العيون مباهجا بروائه ... فتظل هائمة به مما ترى
تهفو الجوانح والضلوع اليه من ... شغف فيعلق بالشغاف مصورا
كل امرىء يرجو التمتع منه عن ... كثب ويبغي ان يدوم منورا
مهما يشد بجماله وجلاله ... ذلق فصيح القول يبق مقصرا
تنمي أنامله النبات موشعا ... ومزركشا حول المدائن والقرى
وتنمنم الوشي المطرز سندسا ... وتحوك نسجا للطبيعة أخضرا
وتبين ألوان الزهور فابيض ... يتلو هنالك أصفرا أو احمرا
غمست بسحر ما وعاه ساحر ... أنى وكان الفعل منه مزورا
هي بدعة من صنع ربي جل ما ... صنع البديع لكي يثير ويبهرا
يزجي الربيع الطلق عرسا حاليا ... يحلو مشاهدة ويزهو مظهرا

ويزف في حلل الجمال عرائسا ... قلدن ياقوتا يرف وجوهرا
ويقيم أبهى مهرجان حافل ... يحبو الطبيعة بهجة أنى سرى
ويمتع الابصار والالباب من ... متع المحاسن نظرة وتصورا
وينعم الاجسام والارواح في ... نعم الحياة لتستريح وتحبرا
ويوشوش الدنيا بهمس نسيمه ... ويرشها طيبا ومسكا اذفرا
تشدو بلابله وتصدح ورقه ... مرحا فتطرب سامعيها الحضرا
وتضوع انفاس الرياض مشيعة ... ندا ورندا في الجواء وعنبرا
ويريك آيات النهار مضيئة ... والليل مؤتلق الكواكب مقمرا
ليت الفصول الباقيات جميعها ... مثل الربيع زمانها والاشهرا
لكن رب الناس شاء تبدلا ... وتحولا طول المدى وتغيرا
سبحانه في ملكه يجري به ... من لطفه ما قد أراد وقدرا

ماج الربيع نضارة وجلا لنا ... وجها بشوشا بالملاحة أزهرا
طاف السهول قريبها وبعيدها ... وعلا الجبال وجاب وهدا في السرى
واختال من زهو ولألأ مشرقا ... متضاحكا متباهيا متبخترا
فازدانت الدنيا ورف بهاؤها ... لما تنقل في الثرى وتأطرا
مست يداه الترب جدبا ماحلا ... فربا وعاد مفوفا ومنضرا
وغدا موات النبت حيا زاهرا ... متبسما متعريا متأزرا
وتبرج الدوح الظليل بروضه ... متبرعما أو مزهرا أو مثمرا
وعلت أغاريد الطيور فأسكتت ... دفا ونايا للغناء ومزهرا
لابدع ان هام الانام صبابة ... بحلى الربيع ونوره ما أسفرا
اني لاهوى ان أشاهد حسنه ... في يقظتي ما دمت حيا والكرى
وأود صحبته لاشعر أنني ... غصن الشباب فلا أسير القهقرى
ألقى الحياة هنيئة ولذيذة ... لما أراه وانتشي متخدرا
وأقر عينا باجتلاء فتونه ... وأطيب نفسا فيه حتى تسكرا
ويعود لي عهد الصبا فاضمه ... متمتعا متنعما متذكرا
هو خير فصل تنجلي أيامه ... عن حلو عيش ما أحب وأخيرا
بل فتنة الدنيا وجنة عدنها ... يأتي عن الخلد البديع معبرا
من شاء نعت بهائه وروائه ... حصرا يظل بعيه متحيرا
أنا بالربيع الخصب مغرى مولع ... ما أخصب الاغراء فيه وأكثرا
تزهو به دنيا الانام طلاقة ... وحلى وترفل كالعروس تبخترا

رشاد علي أديب

جبلة ـ سورية



لويجي بيرندللو

لويجي بيرندللو وظلال الوهم الكبير

بمناسبة مرور مئة سنة على مولد الكاتب الايطالي الكبير

بقلم يوسف عبدالمسيح ثروة

* * *

لويجي بيرندللو (١٨٦٧ - ١٩٣٦) قاص وكاتب مسرحي ايطالي ولد في جرجنت في صقليا من ابوين متوسطي الحال ، وعلى اثر نكبة مالية نزحت اسرته الى بالرمو ، وهناك نهل الصبي معارفه الاولى ، ومن هناك سافر الى روما فالتحق بجامعتها ولكنه لم يجد فيها ما يرضي طموحه ، وبنصيحة احد اساتذته انتقل الى بون وفيها واصل دراساته الاكاديمية بعد ان اجاد اللغة الالمانية ، تعلما ودراسة وهضما وممارسة .

عرف الصبي في بواكير شبابه الحب ، فمال الى الشعر يستخدمه وسيلة للوصول الى قلب من احب ، ولكن الشعر الذي نظمه - مع اتصافه بالسخرية المرة ، واللوعة الفاجعة ، والالتماعات الموحية - لم يسعفه فيما قصد اليه ورنا اليه ، ذلك ان عاطفته على تأججها وعنفها ، كانت اميل ما تكون الى الانفعالات الـذهنية لا المشاعر المتجاوبة مع الاستجابات التلقائية الشديدة الفعالية ، التي تتأثر بالاحداث فتنجذب نحوها انجذابا عفويا عارما . ولهذا السبب ترك الشعر للشعراء واخذ بناصية القصة يداريها ويعالجها معالجة جادة ..

واذا بالشاعر ينقلب الى قاص مجيد يحسن لم اشتات الاحداث ، ليحوكها حبكة موصولة الجوانب والاطراف . متناسقة السياق ، متكاملة التكوين ، منطقية المسرى ، طبيعية المضمون ، منسجمة الشكل ..

وذلك بعد ان حل به المقام في روما ، بعد ان اكمل عدته من الدرس والتحصيل في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، فاختلط بالاوساط الادبية والفنية ، وخرج من عزلة الدرس الى واقع الحياة ، واخذ يتجرع - من اول وهلة - مرارة الحياة بروح رياضية عالية .. اذ كانت الخطوب تنتظره بفروغ صبر ، لانه كان مقدرا عليه ان يكون ابنها البار وهو لما يزل في عنفوان شبابه .. فبعد ان تزوج بماريا بورتولانو ، انجب منها ثلاثة اولاد ، ابنين وبنتا وعاش واياها فترة وجيزة من الزمن في روما عيشة سعيدة . ثم مرضت زوجته مرضا عصبيا انتهى بها الى الجنون المطبق ، وحلت بأبيه كارثة مالية حطمت تجارته ... وزاد الزمن القاسي من ضرباته ، بان اصيبت زوجته علاوة على الجنون العصابي بجنون الكراهية الفظيعة بحيث انها لم تعد تحتمل وجوده .. ظنا منها انه خرج على نطاق اخلاصه لها وباعها بخسة ، بيع التراب . ومع ذلك ، استمر يعمل في دأب ومواظبة عجيبة ليغطي نفقات عائلته ، من دواء وطعام وكساء واجور سكن .. حتى انه لم ير بأسا ان يشتغل معلما للصبيان بصورة خصوصية لقاء ليرات معدودات وهو ذلك الكاتب القاص النابه الذي يتحكم في قلمه تحكم السيد المطاع . وهكذا ضحى باعز ايامه واثمنها في سبيل واجبه بصفته ابا وزوجا ، من غير مقابل . ويهون ذلك كله ، وتهون التضحية - على عظمها وفداحتها - لو كان الامر بغير مقابل ! بل الذي افجع لويجي واثر فيه اشد التأثير واساء اليه افظع الاساءة ، انه كان يقابل من زوجته بعنف مر ، بشجار دائم ، برد نسوي غيور مجنون ، بلعنات تنصب عليه ، بجحيم يصطلي فيها ويتجرع زفيرها ، ويعاني لظاها ، حريقا اثر حريق في كل ارجاء نفسه المعذبة .. لويجي يولج ليله بنهاره عملا وكدا وتعبا وضنى لا يعرف فترة لراحة ولا املا في اطمئنان ، ولا تطلعا في مستقبل . ومع ذلك ، فهو لا ينقطع عما هو ماض فيه ، من جهاد رتيب ادكن ، للحصول على لقمة العيش ، ومن جهاد باسل رفيع في سوح الادب ، وفي هذه الاونة بالذات ، الاونة التي تدك الجبال ، برز لويجي لدانتزيو ، الشاعر المداح ، الممالىء للفاشية بعدئذ ، بمقالات في النقد الادبي تفضح حقيقة مكانته ، ومقدارها في جعبته من هزيل العدة وتافه الشأن .. وكان لهذه المقالات دوي ، اي دوي ، في الاوساط الادبية ، وزاد في اهمية هذا الدوي انحياز الناقد الادبي الكبير كابونا الى جانب القاص الناقد الطالع ...

وجاءت الحرب العالمية الاولى ، لتزيد من مآسيه ، فاذا بابنه الاكبر ستيفانو يتطوع في الجيش ويجرح ويؤسر ، وتظن الزوجة ان المسئول عن ذلك كله هو الاب ، لانه هو الذي انتزع منها ابنها ليقدمه طعاما للمدافع ، وتعطف عليه ابنته ، فيحمل ذلك الامر الام على الاعتقاد بان ابنتها هي عدوتها ، هي الاخرى ، فما تعود تطيق وجودها في البيت ، وتنحل اواصر العائلة . ويظل الاب حائرا بين مقت زوجته الشديد ، وبين حنانه على ابنته التي تجبر على ترك البيت لتلتجىء الى احدى القريبات في فلورنسا . وتنتهي الحرب ويعود الابنان الى البيت .. ولكن البيت يظل شعلة ملتهبة من الظنون والشكوك . ويظل لويجي يقاسي الالام المزعزعة لاشد النفوس صلابة . وتحمل الزوجة المسكينة الى احدى المصحات لتتخلص من الجحيم الذي لم يعد يطيقها ولم تعد تطيقه .. ويبقى لويجي يئن تحت ضربات القدر ، يتحمل الهموم صابرا مكافحا وهو يتأرجح بين العطف على زوجته المنكوبة بعقلها وبين حالته النفسية التي لا تطاق .

مسرحية ((حسب تقديرك))

ويتحول لويجي فجأة الى المسرح ليجد فيـه ضالته المنشودة . فماذا يكتب وكل حياته مآس صارخة ؟ ان المسرح الذي اتخذه خدينـا له ، هو وحده القادر على التعبير عن حياته تعبيرا فنيا اصيلا ، فهو لا يعكس الواقع الذي يعيشه حسب ، بل هو الواقع بعينه . وليس للويجي غير ان يصب في هذا المسرح ما في نفسه من مشاعر واحاسيس وعواطف ، وكلها قوة درامية متفجرة ، لا تتقمص واقعا ، ولا تمثله ، ولا تعرض حياة معينة . انها قو ى درامية حية ، لا تنفصل عن وجودها الزمني والمكاني ، الا لكي تقفز من عالم اليوم ، عالم الوهم الكبير ، الى اجواء الخلود .. فتكون الشخوص التي تكون محاور فنه شخوصا خالدة .. بعد ان كانت على ارضية العالم الراهن ، اوهاما واضغاث احلام ..

وفلسفة لويجي التي استنبطها من حياته الخاصة ، فلسفة تشاؤمية بحت . فهي لا تقر بوجود الحقيقة ، واذا اقرت بها فلكي تكون حقيقة نسبية . على حسب الزمان والمكان اللذين توجد فيهما ، وعلى حسب الوضعية النفسية التي تتعلق بها . فمن انت ؟ ومن انا ؟ ومن هم ؟ ومن نحن ؟ اسئلة لا بد من طرحها بصورة جدية ، لانها واردة . لاننا لا نعرف لها اجوبة شافية . قد لا تكون انت من انت وقد لا اكون انا من انا ومن هم من هم ومن نحن من نحن . وقد نكون جميعا اوهاما وظلالا للوهم الكبير . فما هي الحياة ؟ اهي الوهم الذي نعيشه ؟ ام هي حياة الواقع الذي يطحننا طحنا ؟.

انه يعتقد ، كما اعتقد شكسبير ، ان المسرح ليس شيئا منعزلا عن العالم ، (فالعالم مسرح ونحن الممثلون) ونسبية الحقيقة بل حتى الشك فيوجودها اطلاقا تجد لها اصداء واضحة المعالم بينة القسمات في مسرحيته « حسب تقديرك » « فماذا يمكننا ان نعرف عن حقيقة الآخرين على وجه الدقة (1) .. اننا – في الواقع – نتعب انفسنا ونتعب الاخرين في البحث عن حقيقة الآخرين وماهية الاشياء .. ومعنى ذلك انه لا يمكن معرفة الحقيقة ... لان الكشف عنها عسير غير ممكن بل هو متعذر ومستحيل ايضا .. اما تفكيرنا فلم يعد ذا بال .. لان الامور تجري بصورة محيرة للعقل . ولما كان لكل حقيقته ولما كان كل انسان انسانين . هذا الذي تتقمصه متظاهرا ، وهذا الذي يستقر في قرارة نفسك .. تبعا لانشطار الانسان الاجتماعي بتأثير البيئة .. فالقول بوجود حقيقة ثابتة قول مردود لا يصح الركون اليه لانه بعيد عن الواقع كل البعد . واذا كانت الحقيقة هي مسألة اعتقاد فلكل اعتقاده وما يسلم به » وهكذا فالام فرولا تعتقد في هذه المسرحية ان صهرها بنزا رجل مجنون ، ذهب منه عقله يوم ذهبت زوجته الى احدى المصحات بسبب لوثة اصابتها .. وجنون هذا السيد يعرف بجنون الوهم الخاطىء .. انه يعتقد جازما ان زوجته قد توفيت ومن ثم فقد تزوج امرأة اخرى .. وتعتقد الام ان ابنتها شفيت وعادت الى بيتها سليمة معافاة وهذا الاعتقاد وهو خلاف اعتقاد الصهر تماما .. ولكن الامر المحير في الموضوع ان كلا من الام والصهر يجزم باحقية ما يذهب جزما قاطعا ، كما يستطيع كل منهما اقناع الآخرين باحقية ما يذهب اليه .. وهنا تنقسم الاراء في البلدة .. هؤلاء يؤيدون السيد بنزا واولئك يؤيدون السيدة فرولا ، الام ، وحجة كل منهما اقوى من حجة الثاني ..

ففي معرض تبريرها لسلوك صهرها تقول : « ربما كان نوعا من المرض يشبه الحب الغامر – المغلق ، هذا هو الموضوع ، نعم حب خاص بها ، يفرض على الزوجة ان تعيش في داخله ، دون ان تخرج منه على الاطلاق ، ولا ينبغي ان يدخل فيه احد على الاطلاق » واذا علمنا ان الصهر يمنع الام من زيارة (ابنتها) ، عرفنا مدى ما في هذا التبرير من دلالات ومعان ...

اما بنزا فيعزو جنون الام الى واقعة معينة .. انها رأته مع زوجته الثانية من شباك الحجرة التي كانت محتجزة فيها فظنت ان ابنتها ما زالت حية ، فاخذت ترتعد وتضحك ، وتخلصت دفعة واحدة من اليأس القاتم الذي حل بها ، لتقع في هذا الجنون ، في هذا السجن الذي ضاع مفتاح بابه فظل مغلقا على من فيه .. ولكن هذا التفسير تفسير غريب – على رأي الام – وحجتها في ذلك : انه مضطر ان يقدم هذا التفسير الغريب .. فبهذه الفكرة امكن ان يعود اليه الهدوء ، وان تعود اليه الثقة بنفسه .. اما الزوجة المسكينة فكان مقدرا عليها ان تتظاهر بانها ليست هي ، بل واحدة اخرى .. انها ليست هي بالنسبة لزوجها وهي هي بالنسبة لامها .. غير ان الام لا تستطيع ان تقترب منها لتراها والا انقلبت حال الزوج وضاع صوابه . ومن اجل ان يظل هدوءه على ما هو عليه من اتزان .. ضاعت الحقيقة وضاعت المعايير وظلت الام في واد والصهر في واد والزوجة المأخوذة في واد آخر .. لقد خلق كل من الام والصهر « صورة في خياله لها قوام الحقيقة ، وبات كلاهما يعيش هذا الخيال في وئام تام وسلام متبادل . وليس في الامكان هدم هذه الحقيقة التي ابتدعاها بنفسيهما ، ايا كانت الاداة . » ومن ثم «فالخيالهنا والحقيقة هنا» وهما متجاوران لا يستطيع احدهما التخلص من الاخر ، ولا التمييز بينهما لانهما ملتصقان . وهكذا بات من المتعذر معرفة ماهية الخيال وماهية الحقيقة !. وبات الجميع بين الخيال والوهم متأرجحين .

اما السيد لدزي الشكاك الذي ينظم من اول الامر الى جماعة الباحثين عن الحقيقة فهو يمشي مع المنطق الذي سايرناه الى اقصاه فينكر وجود السيدة فرولا نفسها ويقول مخاطبا جماعته : « هل انتم متأكدون من وجودها ؟. ويستطرد : ولكن فكروا قليلا ! اذا حكمنا المنطق خرجنا بان التي توجد في هذا البيت ليست الا مجرد شبح .. لانه لا يمكن ان توجد هناك اية سيدة . لا توجد ! انا على الاقل ، اشك الان في وجودها . » واذن فمن غير الممكن الكشف عن الحقيقة .. واذا كان الصهر والام مجنونين ، فهل ابنة السيدة فرولا هي الاخرى مجنونة؟ الا يمكن التوصل الى الحقيقة من طريقها ؟ لقد بلغ البلبال بجماعة الباحثين عن الحقيقة وعلى رأسهم المحافظ ان امر الاخير بحكم سلطته باحضار الزوجة لتبين جلية الامر .. واخيرا خضع الزوج لما اريد به وبزوجته .. واذا بها تجبر على الحضور بين يدي المحافظ .. لتقول مخاطبة الجميع ، « ماذا تريدون مني ، يا حضرات السادة ؟ انا مأساة كما ترون ، ينبغي ان تظل مختفية ، لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل العلاج عن طريق الاشفاق يفلح ويثمر » . فيجيبها المحافظ متأثرا : « نحن نقدر هذه الشفقة كل التقدير ، ولكننا نريد فقط ان تقولي لنا » .. وهنا تكمل السيدة بنزا قول المحافظ : « ماذا ؟ الحقيقة ؟ الحقيقة في حد ذاتها هي : اني فعلا ابنة السيدة فرولا » . فيتنهد الجميع بارتياح ويقولون : آه .. وتستطرد السيدة بنزا في الحال وبالطريقة السابقة نفسها : وزوجة السيد بنزا الثانية » .. وهنا تعقد الدهشة وخيبة الامل انفاس الجميع فيقولون : « اوه ! وكيف ؟ » فتتدارك السيدة بنزا الامر بقولها : « نعم ، اما بالنسبة لنفسي ، فلا احد ! لا احد » .

ولما تصل القضية هذا الحد المحير من الاشكال يتنبه المنطق الارسطي في نفس المحافظ ويسوقه الى القول : « آه ، لا ، بالنسبة لنفسك يا سيدتي اما ان تكوني هذه او تلك ، واحدة او الاخرى ! » فترد عليه السيدة بنزا : « لا يا حضرات السادة ، بالنسبة لنفسي ، انا ما يعتقده الاخرون .. » وهنا ، وقد اغلق الشك باب اليقين ينبري لدزي لجماعته فيقول مؤكدا ما كان يذهب اليه دائما : « هاكم ، يا حضرات السادة ، كيف تتكلم الحقيقة ! »

مسرحية « ستة شخوص تبحث عن مؤلف »

وقد طور بيرانديللو فكرة الوهم هذه ، وضياع الحقيقة ، الى حد غريب في مسرحيته الشهيرة « ستة شخوص تبحث عن مؤلف » وفيها ينقلب مسرح الحياة الى مسرح حقيقي ، وتزول الحواجز بين المسرحين فلا يعود للتمثيل بمعناه المسرحي المعروف اي اثر في الوجود البشري وتصبح الحياة نفسها تمثيلا مأساويا عجيبا لا ينتسب باي صلة الى التمثيل المسرحي لان مسرح الحياة ينتقل بصورة عفوية مروعة الى خشبة المسرح. فينهزم الممثلون التقليديون تاركين وراءهم كل مواصفاتهم، واساليبهم وادواتهم وكل تقاليدهم .. تاركين – في الوقت نفسه – السيد المخرج ، المدير الفني ، ليستقبل الممثلين الاحياء ، وليندمج معهم ، في اخراج جديد ، لم يكن ليخطر على باله ولم يكن ليحلم به.. الشخوص الستة هم : الاب والام وابنة ربيبة وابن وولد وطفلة ..

1 – شواهد مسرحية « حسب تقديرك » من ترجمة الاستاذ محمد اسماعيل محمد .

الاولاد كلهم من الام الا الابن فهو الوحيد من الاب والام . والسبب ان الام علقت باحدهم فهجرها زوجها بسبب خيانتها له .. ولكنه يتلطف - بعد وفاة خليلها - ان يعيدها الى بيته مع اولادها .. وهنا تبدأ مأساة المسرحية بالتفتح والانكشاف .

وقبل ان ندخل في صلب الموضوع لا بد من كلمة حول شخوص المسرحية : فالاب مجموعة من تناقضات ، فهو لطيف مطواع - وفي الوقت نفسه - عنيف ، شكس ، وتبدو الام فزعة محطمة ، كأن ثقلا لا يحتمل من العار والذلة ، قد بهضها بفداحته . اما البنت الربيبة ، فهي ذات نفسية مقحامة جسور ، وذات وجه يتلالأ جمالا . على حين يمتاز الابن بموقف عنيف من السخرية الموجهة الى الاب ، وبلامبالاة وعدم اكتراث يخص بهما الام . كما يبدو كأنه جاء الى المسرح بالرغم من ارادته ..

ها هو الاب يحدث المدير الفني وكأنه يقدم نفسه وجماعته : « .. اننا جئنا الى هنا بحثا عن مؤلف » . وبعد ان يحار المدير بامر الجماعة ومن يبحثون عنه ، يستمر الاب في شرح غرضه بقوله : « .. انت تعرف جيدا ان الحياة مليئة بحماقات غير محدودة ، وهي ليست بحاجة لكي تبدو معقولة ، لانها حقيقية » . واذا ما قلبنا مجرى الحياة - على وفق رأي الاب - امكننا التوصل الى ما يعرف بالجنون . وبذا نكون قد خلقنا حالات مقبولة عقلا ، من اجل ان تبدو حقيقية . واذا كان هذا يعد جنونا فهو جوهر مهنة التمثيل اذ أليس رسالة السادة الممثلين هي اضفاء الحياة على شخوص خيالية (فنطازية) ، لكي تأخذ امكنتها على المسرح ؟ واستكمالا لهذا الرأي وتأييدا له يدلي المدير الفني بدلوه قائلا : « .. نحن فخورون بما اضفينا من حياة على اعمال خالدة ، هنا ، على هذه الخشبة بالذات ! »

وفكرة الخلود التي اشار اليها المدير سرعان ما يتلقفها الاب جاعلا منها فكرته بقوله: «.. محظوظ من يولد بصفته شخصا من الشخوص، فهو يستطيع ان يضحك حتى على الموت . لانه لا يستطيع ان يموت . اما الانسان ، الكاتب ، اداة الابداع والخلق ، فميت لا محالة ، بينما ابداعه لا يموت » . ولكي يدعم الاب رأيه هذا يضرب الامثال ببعض الشخوص الخالدة من اضراب سانخو بانزا ودون ابونديو وبعدها جرائيم حية وجدت لها - لحسن حظها - ارحاما خصبة - وما هذه الارحام غير الخيال الذي ينعشها ويحييها ويبعث فيها نفسا خالدا لا تستطيع صروف الزمان اخفاته واخماده . وحين يسأل المدير عن النص المسرحي الذي تعتمده الشخوص لتقديمه على المسرح يجيبه الاب بصورة طبيعية في غاية البساطة بقوله : « .. الدراما فينا ، ونحن الدراما . نحن متلهفون على تمثيل ادوارنا كل التلهف » . وعندما يتساءل المدير عما يقصده بقوله عن امرأته انها ارمل وهو لا يزال على قيد الحياة ، يجيبه وكله سخرية : « هنا تكمن الدراما التي تخصها . كان لها خليل، رجل كان ينبغي ان يكون هنا » . الا انه غير موجود لانه دفعه الى خارج الوجود ، على الرغم من انه هو المسؤول عن التجاء زوجته الى ذلك الرجل الذي قدمه الى زوجته بنفسه كما تقول الام مخاطبة الجماعة : « .. انه هو الذي اعطاني ذلك الرجل ، وهو الذي اجبرني على الالتحاق به » . واذا كانت قد تركت ابنها وهو في الثانية من عمره فهي لم تفعل ذلك الا مكرهة وبفضله هو نفسه .

وتمضي سنون عدة ، ويلتئم شمل العائلة مرة اخرى ، ويستمر الممثلون الحقيقيون في عرض واقع الحياة ، بعد موت العشيق ، ورجوع الام الى جادة الصواب مع اطفالها الجدد ، وعلى رأسهم البنت الربيبة الذكية الاريبة التي تشير الى والدها (الجديد) بقولها : « وكانت ثمة المئة ليرة التي اوشك ان يقدمها لي عربونا .. ايها السادة » . وتقدح هذه الكلمات قدحا فيتطاير منها شرر مرعب ، وتبدأ الحرائق بالانتشار، واذا بالجمع كله ، كل الحضور ، مبهوتون ، متوترون ، منكمشون ، مبهورون ... العربون .. العربون الملعون معروف ومشهور ، وهو ختم قديم من اختام اقدم مهنة في العالم .. والفتاة تدري ما تقول لما تتناول مدام بيس بحديثها الجهنمي النغمة : « .. مدام بيس هي واحدة من السيدات اللواتي يجتذبن الفقيرات من العوائل الصالحة الى مقاصيرها .. بحجة بيع الارواب والستر » . وحين تحتج الام قائلة : « عيب . عيب ، يا بنتي » . تعوي البنت وتصرخ : « عيب . حقا عيب . هذا هو انتقامي . انا اموت في سبيل ان اعيش ذلك المشهد.. هناك الديوان والمرآة والستارة ، وقبالتها المائدة الصغيرة التي تحتوي على الظروف الازرق ذي المئة ليرة .. كنت استطيع ان اخذها .. لكن ، ايها السادة، عليكم ان تستديروا ظهوركم الي الان . فانا اكاد اكون عارية ، كما تعلمون . غير اني لا احمر خجلا ، بل اترك ذلك الاحمرار اليه (مشيرة الى الاب) » .

اما الاب الذي يفلسف كل شيء ، فلا يرى بأسا من القول بكل برود : « ... القضية كلها كلمات في كلمات . ولكل منا عالمه الخاص. نحن نظن اننا نفهم بعضنا بعضا بينما نحن على خلاف ذلك تماما » . ولما تتدخل الام دفاعا عن مسلكها بقولها مخاطبة المدير ، « .. بعد ان تزوجني .. من يعرف لماذا ؟.. كنت امرأة تافهة فقيرة .. » لا يتورع الزوج من القول : « انها بكماء ، بكماء عقليا .. عندها الكثير من العاطفة . نعم ، ولها قلب طيب يحن على الاطفال - لكن الدماغ - ابكم الى حد اليأس منه ! » ثم يتحدث بالبرود نفسه عن امين سره مشيرا الى زوجته بقوله : « .. لقد تفاهما لانهما كانا زوجين متحابين متقاربين ، في الواقع . من غير ان يبدو بينهما اي ظل لاي شر . فهما لم يكونا ليستطيعا حتى ان يفكرا فيه » . ويستطرد قائلا : « كنت استطيع ان اراهما يسألان بعضهما بعضا كيف يمكن ان ابقى محافظا على اتزاني وهدوئي . وهذا وحده كان كافيا ان يجعلني في حالة من الغضب المستمر » . وتبلغ القحة الاب الى حد الاعتزاز باستقامته الاخلاقية ومدى طموحه الشخصي في توفير هذه الاستقامة لافراد عائلته جميعا ، وهنا تنفجر الفتاة الربيبة ضاحكة وتحدث المدير قائلة : « تصور الاستقامة الاخلاقية منبعثة منه ، اذا تسمح - من عميل مقاصير معينة، كمقاصير مدام بيس ؟ » لكن هذا كله لا يؤثر - في شيء - في نفسية الاب الرفيعة ، المتعالية ، ذات الشرف السامي .. ولهذا فهو يقول بملء فيه : « ... البؤس . التعاسة . الشقاء كل ذلك ينحصر في الانسان الفريد الذي يأبى التورط في صلات مخزية .. ليس هو طاعن السن حتى يتخلى عن النساء وليس شابا يبحث عن واحدة لا مؤاخذة عليها » . والاب من هو ؟ هو كسائر الرجال ، الا انه احسن منهم ، لانه - في الواقع لا يخاف من ان يكشف بمعاونة ضياء الذكاء حقيقة عار الوحشية الانسانية الحمراء ، ذلك العار الذي يغمض معظم الرجال عيونهم حياله - . اما المرأة ، ولننظر الى حالتها ، فحالما تجد نفسها بين ذراعي رجل ، تغمض عينيها اغماضة تشير الى رسالتها في الحياة، وتقول من طريق تلك الاغماضة : « اعم نفسك ، لانني انا نفسي عمياء».

وهنا تهب الفتاة المعطوبة لتقول ردا على هذه الفلسفة ، « .. هذه التعقيدات الذهنية ، تجعلني مريضة ، تقززني ، كل هذه الفلسفة التي تكشف عن الوحش في قرارة الانسان قصد انقاذه ، كل ذلك امر لا استطيع تقبله .. لانه يعني رمي كل اثر من اثار الانسانية ، كل مطمح عنيف ، وشعور نقي ، وحس بالمثل العليا ، وواجب ، وحشمة وعار .. وعندئذ لا يبقى شيء ابعث على التقزز والنفور من ذلك الندم ، من تلك الدموع ، التي هي دموع التماسيح ولا شيء غيرها » .

واذا كان كل شيء مجرد تظاهر ، واذا كنا - في الحياة - لا نمثل غير الادوار التي وضعت لنا ، فاننا نجد انفسنا عائشين في جو من العزلة القاتلة ، ولهذه الاسباب فالاب منغمر في تمثيل الحياة تمثيلا صادقا ، لان تمثيله لا ينفصم عن واقعه الحي ، والام تدرك انها تعيش هذا الواقع في عذابه المر ، كل لحظة من لحظات الزمن الكافر ، ذلك ان اولادها متعلقون بها ليجعلوا ما تقاسيه من العذاب واقعا طافحا

سحابات صيف

غـدا ترحلين الـى مجهـل — وتطوين ذكـرى هـوى أول
وتـورق فـي مقلتيـك المنـى — على وقـع أغنيـة الجـدول
وتنسين وعـدا رعتـه النجوم — وسبعا تجوب مـع الشمـال

وأمس رأيتـك عبر الزحـام — واغضيت عني ، فيـا للعذاب
كانـا غـريبان لـم نرتشف — كؤوس الطلى في اعالي السحاب
ولـم نمـلأ الدوح عند المساء — جوى ، او نلـون درب الشباب

الا فاذهبـي ان مـا بيننـا — تناهبـه زمـن غـادر
ومـا قـد تبقـى عـراه الذبول — وأودى بـه عـاصف ماطـر
كـأن السنين سحابـات صيف ، واوهـامهـا حلـم عابـر

غداً سوف تدرين معنـى الهوان — اذا أثقلتـك صخور المـلال
غدا تبحرين مـع الذكريـات — خـلال الدجـى نحو شط المحال
علـى مركب هائـم أخضـر — تهدهده خيبـة فـي الخيـال

ستمضي السنـون وراء السنين — وتصفعنا سخريـات اليقيـن
ونمسي حيارى بـلا غايـة — ولا أمنيـات تـروي الحنيـن
ونعبـر كهف الاسى والدموع — وندفن بـالحشرجـات الظنون

القنيطرة ـ سورية — رضوان عقل

بالحيوية والحركة والديمومة ، اما ابنتها فقد تركتها وفرت فضاعت ..

ومن ثم ، فان الشخوص ، بما فيهم الاب ليسوا غير ما هم عليه ، وليس لهم من حقيقة خارج هذا الوهم الكبير ، علـى حين ان المسألة بالقياس الى المدير الفني وزملائه الممثلين لا تعدو ان تكون بحق وحقيقة نوعا من اللعب والتلاعب بمشاعر الاخرين . بينما ان هذا اللعب الفني ليس ـ في الواقع ـ غير حقيقة الشخوص الوحيدة . وعلى ذلك فما نعده حقيقة اليوم يصبح غدا وهما من الاوهام ، لان اوهام الحقيقـة تتمثل في كوميديا الحياة التي لن تنتهي ولن تستطيع ان تنتهي فهي والغد على موعد دائما . ومؤدى كل ذلك على حسب قول المدير مخاطبا الاب : « .. لقد قدمت نفسك لي بصفتك « شخصا من الشخوص » ابدعه مؤلف لم يعن بعد ابداعه ان يؤلف مسرحية درامية من مبدعاته ». وهنا يجيبه الاب بالتوكيد قائلا : « هذه هي الحقيقة البسيطة. سيدي» ولكي يجعل لهذه (الحقيقة) سنادا من الواقع يمضي الاب الى القول : « .. حالما يولد (الشخص) يكتسب استقلالا ، وينفصل حتى مـن مؤلفه . لكي يمكن لاي انسان تخيله وتصوره ، في اوضاع لم يحلم المؤلف نفسه بان يضعه فيها . وعلى ذلك فهو يحوز على معنى لم يضفه المؤلف عليه » . ومن هنا ، فان المؤلف الذي هـو خالق الشخوص ، عاجز عن السيطرة على شخوصه لانها تصبح كيانات مستقلة متى مـا انفلتت من بين أصابعه . وفلسفة نيرنديللو هذه تجد لها احسن التطبيق في مؤلفات دستويفسكي القصصية خاصة .

اما فلسفة بيرنديللو ـ في الحياة ـ فيمثلها احسن التمثيل قول الاب : « كل انسان حقيقي يعيش على مستوى اعلى مـن مستـوى الحيوان والنبات بعض الشيء لا يعيش من اجل العيش ، من غير ان يعرف كيف يعيش ، ولكنه يعيش من اجل ان يضفي معنى وقيمة على حياته » . وردا على هذه الفلسفة يقول المدير : « يا سيدي ، الدراما عمل ، عمل لا فلسفة متخبطة » . وتأتي الفتاة الربيبة لتؤيد المدير بقولها وهي تشير الى اختها الصغيرة وهي تلعب في الحديقة : « ان مسرتي الوحيدة هي ان اراها سعيدة لا يهمها شيء في الحديقة بعد بؤس تلك الغرفة المرعبة وقذارتها حيث كنا نحن الاربعة ننام معا . وانا انام معها (تقصد الاخت الصغيرة) بجسمي الدنس المعدي » . وتضيف الى ذلك بعد ان تشير الى اخيها الكبير : « انه مضطر ان يبقى هنا، لا انفصام لعروته من السلسلة » . ويعرف الابن هذه الحقيقة ولذا فهو يقول : « اذا كنت غير مستطيع على الذهاب ، فسابقى هنا ، ولكنني لن امثل ابدا » .

ومن هنا ، فان الابن يريد ان يظل خارج نطاق التمثيل ، ويظن انه يستطيع ذلك ، غير انه ما ان يلتفت بوجهه نحو المرآة حتى يجد صورة مرعبة مفزعة تنهض امامه لتبعث في قلبه كل الرعب وكل الفزع ، واذا به حقيقة غول مفزع ... صنع ما لا تصنعه الفيلان ، واذا بالام تريد ان تعترف بالجريمة النكراء ولكنه يمنعها من ذلك بالقوة قائلا : « الا تستحين ، اتريدين ان تصري على اراءة عارنا لكـل الناس » . وتشاء الاقدار ان تملي ارادتها ويموت الولد منتحرا بعد غرق الاخت الصغيرة ويصرخ الاب قائلا : « تظاهر ؟ حقيقة . نعم حقيقة » . واذا بالكـل ظلال للوهم الكبير .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

صانع الزجاج

★

حمم من الرمل المذاب … بالويل تنذر والخراب
طلعت بحمر بيارق … وكأنها كسف العذاب
صهرت بمضطرم اللظى … فجرت كمنهل الرباب
وغدت جواهرها الهباب … لرقة أو كالسراب
كسف تدافع غربها … كالموج في ثبج العباب

برم الحديد ولم يكن … ليضيق صدرا بالصعاب
وارتد عنها مشفقا … كطعينة حذر الحراب
حمم وكيف بمدحها … يجري لسان أو يحابي

مدت الى اكر اللظى … يد حاذق مد اغتصاب
وجرت برفق دونها … بعد التمعن والحساب
نفذت الى أكر اللظى … كالغيب ينفذ من حجاب
يختار منها بعد لأي … ما يلائم عن صواب
وكأنه البزاز ينقد … ما استجد من الثياب
أو صانع يزن اللآلىء … فاحصا من خوف عاب
وتدور في كفيه طابات … تشعشع كالشهاب
وتلين في دورانها … كالشمع من دون الثقاب

ما زال صانعها بصقل … يديرها كالمحابي
ويقوم في تثقيفها … ليجيىء بالعجب العجاب
حينا يعالجها برفق … كعاتب في اقتضاب
وتراه حينا يصرف … الانياب من غصص العذاب
وكأنه من صدره … يوري التهابا بالتهاب
ما زال يصقل دائبا … بتريث كتل التراب
حتى غدت قطع الحجارة … في اللطافة كالهباب
وتسلسلت ذراتها … كالنور لينا في انسكاب

السحر ما صقل الفتى … وأتى من الفن اللباب
حال التراب بفنه … متعا تتيه على السحاب
من كل آنية مشعشعة … كأحلام الشباب
شفت جواهرها بتثقيف … كمؤتلق الغياب
وصفت جوانبها كغرب … الدمع في جفن الكعاب

بنت التراب وليس سرك … خافيا عن ذي صواب
أغلاك ما أزرى … بصايفك المسهد من عذاب
ما كنت غير حصيلة … لشبحى يقطع بالرقاب

دمشق … عدنان مردم بك

«جراندة» الكلب

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

اسمه بالاسبانية « جيرالدو سمبافور » ويلقبه الاسبان « بالباسل » واحيانا يلقبونه « بالسيد البرتغالي » تشبيها بالسيد الكنبيطور (الكمبيادور) وهو المغامر الذي كان يعمل في شرق الاندلس ايام ملوك الطوائف ولكن العرب في الاندلس كما تروي لنا المصادر العربية كانت تطلق عليه اسم « جراندة الكلب » او اذا أردت الاسم العربي الكامل له مع باقي الصفات المنعمة عليه فهو «العلج جراندة الكلب الجليقي » . ومن الطريف ان المصادر العربية تقتصر احيانا في اشارتها اليه على كلمة « الكلب » . وفي بعض الاحيان لا يتمالك القارىء من الابتسام لهذه التسمية واذكر اني في عدة مرات وضعت الكتاب جانبا لاستغرق في الضحك مع ان الموضوع جدي غاية في الجدية ، ولا شك ان رد الفعل هذا هو آخر ما كان ينشده المؤرخ العربي آنذاك .

عاش « جراندة » في عصر الموحدين ايام الخليفة ابي يعقوب يوسف وكان نشاطه في المنطقة الواقعة الآن في وسط البرتغال . وكانت البرتغال في ذلك الحين مملكة ناشئة قام « الفونسو هنريكيز » بتأسيس دعائمها وهو الذي عرفه العرب باسم «ابن الرنق» . وكان سلطان العرب قويا حتى منطقة لشبونة شمالا وموازيا للنهر التاجه وكان العراك سجالا بين العرب والبرتغاليين فاذا قوي ساعد العرب مدوا سلطانهم الى الشمال قليلا فاخذوا « شنترين » والقلاع المحيطة بها واذا قوي ساعد البرتغاليين مدوا سلطانهم الى الجنوب قليلا فاحتلوا « بطليوس » وما يحيطها من قلاع . وكان ثمة على العموم توازن في القوى بين الطرفين .

وهنا يأتي ذلك الدور المهم الذي كان يلعبه «جراندة» اذ كان من الرجال المرتزقة الذين لا يدينون بأي ولاء الا لانفسهم . وكانت معه عصابة من الرجال المرتزقة الذين يعملون معه وعددها حوالي ثلاث مائة وخمسين شخصا . وكان « جراندة » يتساوم مع ملك البرتغال على مدينة من المدن العربية الواقعة على الحدود فاذا اتفق معه على سعر لها قام باحتلالها وتسليمها له . وكانت له خطة بسيطة يتبعها دائما ولم يحد عنها اذ انها لم تفشل مرة واحدة ولهذا لم يكن من اللزوم تغييرها . وهذا ابن صاحب الصلاة وهو من المؤرخين المعاصرين يصف لنا كيف كان « جراندة » يقتحم الحصون العربية فيقول :

« كان الكلب يتسلل في الليالي المطرة الحالكة الظلمة الشديدة الريح والثلج وقد اعد آلات من السلالم من اطول العيدان بعلو سور المدينة التي يروم فاذا نام السامر (الحارس الليلي) في برج المدينة القى تلك السلالم الى جانب البرج ورقي عليها بنفسه اولا الى البرج وينقض على السامر ويقول له تكلم على ما كانت عادتك لئلا يشعر الناس بنا فاذا استوفى طلوع حملته الزمه في اعلى سور المدينة وصاحوا بلغتهم صيحة عظيمة منكرة ودخلوا المدينة وقتلوا من وجدوه واستلبوه واخذوا كل من فيها سبيا وفنيا » .

وسقطت على هذا النحو عدة مدن عربية كانت اولها مدينة ترجاله Trujillo وهي شمال ماردة قرب نهر التاجه واخذها «جراندة» سنة ١١٦٥ م واخذ بعدها يابرة وباعها مع ترجالة الى « ابن الرنق » ثم سار الى مدينة قاصرش Caceres فاحتلها واحتل بعد ذلك حصن شربة Serpa وحصن جلمانية Jurumena واقترب من بطليوس اهم المدن في تلك المنطقة . وبقيت تلك الحصون الواقعة على الحدود تتساقط واحدة بعد الاخرى الى ان فطن احد الولاة بان « جراندة » يعمل لحساب من يدفع له اكثر من غيره وانه لا يرتبط بولاء معين لجانب دون آخر فدس له كتابا بان يأتي الى اشبيلية حاضرة الموحدين ليتساوم معه على ثمن بعض الحصون الاسبانية . وقبل « جراندة » ورد بكتاب قال فيه بانه لا مانع « عنده من ان يدخل في خدمة الخليفة وهو لذلك يلتمس قبوله عبدا وخادما للخليفة » .

ودخل « جراندة » اشبيلية مع صحبه عام ١١٧٤م ولكن في تلك الفترة بالذات انعقدت هدنة بين الخليفة وبين « ابن الرنق » وساد الهدوء والسكون حدود المملكتين ولذلك انقطع رزق « جراندة » ولم يدر والي اشبيلية ما يصنع به فاقترح على الخليفة ان يأخذه معه الى افريقيا فسار في ركاب الخليفة الى المغرب عام ١١٧٦م وعينه الخليفة للخدمة في منطقة السوس والاستفادة من مواهبه في اخماد الثورات الصغيرة التي كانت تقوم في افريقيا ضد حكم الموحدين بين الحين والآخر .

ولكن ما ان وصل السوس واستقر في عمله حتى غلبت عليه طبيعته الاصلية فأرسل سرا الى «ابن الرنق» ملك البرتغال يساومه ويعرض عليه ان يجهز اسطولا لفتح هذه الناحية وبذلك تمتلك البرتغال بعض المراكز على ساحل المغرب وتشاء المصادفات ان يضبط الموحدون بعض تلك الرسائل ويقفون على نوايا «جراندة» فيرفعون امره الى الخليفة وعندئذ يصدر الخليفة اوامره سرا الى

ملاذي الاخير

يـا ملاذي الاخير ... يـا كلماتي   يـا شموعا تذوب فيهـا حياتي
لـم يعـد لـي الا حروفك أهـوا   هـا ، وتصغي لزفرتـي وشكاتي
أنت دنيا صباي ، فيـك شظايـا   من شبابي ، ومـن لظـى جمراتي
.. موقد أنت نـاره وهـج القلـ   ـب ، وبقيـا رمـاده ذكرياتـي
ونثـار الدخان أشـلاء عمـر   وظـلال اللهيب اوصـال ذاتـي
فانـا فيك ... ثاكـل يتلوى   وأنـا فيك .. هائم فـي فلاة
وأنا فيـك .. ثائـر يتحدى   بسنى فكـره ظـلام الطغـاة
يزرع الليل فـي عيون الحيارى   والمضاميـن انجمـا مزهـرات
ويرى الشمس تورق الحب والزيتو   ن ... فـي ارضنا الخراب الموات
ويـرى الماثـل الحزين تدلـى   ، بيـن صلبانـه ، عناقيـد آت

يـا ملاذي الاخير ... يـا كلماتي   يا صبايا حبي ... ويـا زهراتي
أنت ينبـوع طيبتي ، يشرب الز   نبق مـن عذبـه الزلال الفرات
فيـك ري لكـل قلـب كسيـر   صوحت روضه يـد العاصفات
... كلماتي ، وفيك ، قنديل ضمير   ي ..... يشـع فـي ظلماتـي
ودموعي التي تقطر فـي قلبـي ،   وخوفـي ، وحيرتي ، وصلاتـي
وبكائي بـلا نشيـج ، وصمتـي   مخبـأ مقفـل علـى آهاتـي
... انا اشقى وأنت كنـز ابعدي   سوف يشقى ـ كما شقيت ـ رواتي!

لاعرتـك الخطوب يـا كلماتـي   يـا عذارى قلبي ... ويـا فلذاتـي
أنـا ان عشت بيـن قومي غريبـا   واذا انكـرت بـلادي سماتـي
فعزائي ... اني زرعتك ، فـي أر   ض عذابـي ، لاليئـا رائعـات
ستشق التراب عـن الف ثغـر   عابق ... يستقي الهوى مـن رفاتي
سوف يروي في فجر كـل ربيـع   للصبايا ، عني ، وعـن مأساتي .

بغداد   حسين جليل

عامله بدرعة موسى بن عبد الصمد بان يقسم « جراندة » واصحابه على القبائل ثم يقتل جراندة لما ثبت من خيانته وبعث « بجراندة » الى درعة فسار اليها مع اصحابه وهناك نفذت فيهم اوامر الخليفة . وبذلك تنتهي قصة هذا المغامر .

تذكرنا قصة « جراندة » بالحقيقة الانسانية الباقية وهي ان في العالم فريقا من الناس يمكن شراء (مواهبهم) وان ضمائرهم بضاعة للبيع وولاءهم هو من نصيب من يدفع ثمنا اكثر من غيره . ولو نحن فتشنا تفتيشا عن شخصية مضادة لشخصية « جراندة » لما وجدنا افضل من شخصية الخليفة الموحدي يعقوب المنصور فهو من النوع الانساني الآخر نوع الثبات على العقيدة والايمان التام الذي لا مساومة فيه ولا هوادة . وكان الدفاع عن الاندلس يشكل عنده قوة من اكبر القوى الدافعة في حياته وعندما رجع الى حضرة مراكش بعد انتصاره في موقعة « الارك » عرف انه لم يربح معركة فاصلة بل ربح فترة من الهدوء والاستقرار سيقوم بعدها الاسبان من برتغاليين وقشتاليين وغيرهم بالهجوم مرة ثانية محاولين انتزاع الحصون العربية فقال لاشياخ الموحدين وهو على فراش الموت : «اوصيكم باليتيمة والايتام » فقالوا له « ومن هي اليتيمة يا امير المؤمنين ومن هم الايتام » فقال « الاندلس هي اليتيمة واهلها من العرب والمسلمين هم الايتام فاستوصوا بهم خيرا ولا تتركوهم » .

لندن   فؤاد جبور حداد

قصة

قاتل من نوع آخر

بقلم عبد الله الشيتي

قالوا له : الدم ينادي الدم يا حمدان

وهتفوا به مشجعين : لا يغسل الدم الا الدم ياحمدان . الدم ينادي الدم ياحمدان .

وحمدان ليس في هذا الوارد ابدا .. انه لا يود ان يصدق كل الذي قالوه وصوروه له من ضروب الشجاعة والبطولة التي تدخل في باب الثأر .

وهو وان كان فتى صغيرا لم يتعد الثامنة عشرة من عمره ، يشعر بينه وبين نفسه بأن الجريمة لا تعالج بجريمة اخرى او بجريمة مماثلة . ذلك ما زرعه في نفسه منطق الاشياء التي هضمها بفطرته .

ومع مرور الايام ، ازداد اعتقاده يقينا بانه من غير الجائز ان يحل « المشكلة » القديمة بمشكلة جديدة وبين الحين والحين ، كلما ثارت ثائرته ، يود ان يأخذ المسدس الصغير من امه المهتاجة ، ويذهب من فوره الى ذلك الرجل الآمن ، قاتل أبيه ، ويفرغ في رأسه وصدره الرصاصات الخمس لعله يرضي امزجة المشجعين المتحمسين من حوله ويضع حدا لحيرته وتساؤلاته الفائرة في داخله كالبركان ، وشيك الانفجار .

قالوا له .. ان اباه سقط يتخبط بدمائه الغزيرة امام دكانه بسبب خلاف طارىء على صفقة تجارية بسيطة نشب بينه وبين احد الباعة من جيرانه المنافسين . واصدرت محكمة الجنايات وقتئذ ، حكمها على القاتل بالسجن خمس سنوات مع الاشغال الشاقة ، بجناية القتل الغير المتعمد ، ولان ما حدث كان في تقدير واجتهاد هيئة المحكمة والمحلفين مجرد مشاجرة عادية تحدث بين مطلق اثنين كل يوم ، بيد ان لكمة قوية من قبضة البائع الجار قضت على « ابي حمدان » فورا ، بعد ان استقرت على صدغه الايمن فمات لساعته .

مرت السنوات الخمس في سرعة خاطفة بالنسبة لذوي القتيل وابناء عشيرته ، وكانت سنوات مشحونة بالاسى والتفجع ، ونيران الغضب تشتعل في صدور الاهل والاقارب ، ويزيدها اشتعالا وضراما حقد دفين يتوالد .

كان « حمدان » هو الانسان الوحيد الذي يستطيع ان يختاره القدر لانزال حكم الموت في قاتل ابيه باعتبار ان « مجلس العائلة » قرر ومن اول جلسة طارئة عقدها ، نفاذ شريعة الثأر القديمة .

لكن حمدان ، في عنفوان اطلالته على الحياة المخضوضرة من حوله ، لم يقتنع او انه لم يشأ ان يقتنع بوجاهة هذا العذر ، ولا بالحجة الواهية التي ساقها اليه مجلس العائلة الموقر ، طالما ان القانون قال كلمته والعدالة لفظت حكمها ، فما عاد من مبرر لاي « اجتهاد » جديد

على ان الغليان من حوله لم تهدأ فورته اللاهبة ، من خمس سنوات الى الان ، وعلى نفس الوتيرة ...

ــ هوذا قاتل ابيك خرج من السجن ياحمدان وعاد لمزاولة اعماله يسرح ويمرح على هواه .

ــ انت ابن ابيك الوحيد ، فمن يأخذ للمغدور حقه من غريمه سواك ــ يا حمدان ؟ اليست فيك نخوة الشباب ولا شجاعة الاقدام ؟

ــ لو كان ابوك قد خلف بنتا لكان ذلك أفضل له بعد موته ، من ان يخلف وراءه جبانا رعديدا مثلك .

ظل الدوي يملأ اذنيه ويهدر في نفسه كقصف الرعد .. ولطالما كان يهرب من وجوه هؤلاء الناعقين النادبين ليختلي بنفسه ، وليصم اذنيه بكلتا يديه ... الهدير ... الهدير .. لا يفتأ يناديه . وما ان يهدأ روعه قليلا حتى يبدأ مع نفسه في حوار مكرور قد اعتاده : .. انا لست جبانا . الحياة عندي لاتساوي قشرة بصلة .. لماذا يتهمونني بالجبن هل يعقل ان اخاف السجن وانا اتعذب في كل يوم اكثر بكثير مما يتعذبه السجناء انفسهم ؟ انني انا ايضا سجين هذه العادة القديمة البالية .. عادة الاخذ بالثار . لم اذن وضعني والدي المرحوم في المدرسة ، وانفق علي تعب العمر كله ؟ اليس من اجل ان يعلمني الحياة كما يجب ان تعاش ؟ والقانون اليس القانون سيد الجميع وفوق الجميع لا سلطان لاحد عليه ؟ اليس القانون هو الذي يقول كلمته في الخارجين على النظام ؟ والثقافة ؟ ما معنى انه يصنف نفسه شابا مثقفا اذن ؟ الم يسجن قاتل ابيه خمس سنوات مع الاشغال الشاقة ؟ ولو ان القضاء العادل ارتأى موجبا لاعدامه أفما كان أدانه واعدمه جزاء جريمته ؟ اليس ما حدث كان بمحض الصدفة ، مجرد مشاجرة عادية ، انتفت فيها قرينة القتل المتعمد كما قال ذلك محامو الدفاع واقتنع بوجاهة الحكم محامو الادعاء الشخصي والحق العام ايضا ؟

كل هذه الاسئلة كانت تدور في رأس حمدان كالطاحونة ... وكان صراع داخلي في نفسه يحاوره ويناوره : ــ اقتله .. لا تقتله ... اقتله .. لا تقتله !

وسرعان ما يخرج حمدان الى الهواء الطلق يفتح له صدره ويعبه

بنهم مستبد . ومع قدوم كل مساء بعد ان تغيب الشمس في القرية الكبيرة الهاجعة وراء التلال السمر يغفو حمدان قلق النفس مجهدا ، وشفتاه تتمتمان : ـ لا .. لن اقتله لن اقتل انسانا عوقب على فعلته .. انسانا لم يكن يقصد القتل ، حتى لو كان هذا القتيل ابي !

وفي الصباح ، يذهب الى ثانوية المدينة القريبة لاكمال تحصيله ، ويختلس النظر فيما هو جالس بين رفاقه الى كتاب اشتراه حديثا ، وظهر اسمه من العنوان البارز على الغلاف « الجريمة والعقاب » !

كانت عيناه الحائرتان الحزينتان ، تلتهمان هذه الاقوال الصغيرة المتلاحقة يختزنها في ذهنه المكدود :

ـ لماذا نخاف العقاب ولا نخاف الجريمة ؟

اي جدوى في ان نحل مشكلة بمشكلة اخرى ؟

ـ ما معنى ان نغسل الدم بالدم ؟

وتهتف اعماقه زاجرة : استيقظ يا حمدان .. افق من سباتك .. لا تستسلم للحيرة والتساؤل . عش ودع غيرك يعش ، امر لا يكفي يا حمدان .. بل عش وساعد غيرك على ان يعيش هذا هو المطلوب في الانسان المثالي !

تلك الحكمة الذهبية اختزنها من نصائح اساتذته في المدرسة وتوجيهاتهم قبل اليوم . ويشعر لو ان يدا خفية تريد ان تطبق على عنقه كالكماشة .. آه لو ان اباه يعود حيا للحظة واحدة فقط حتى يسأله :

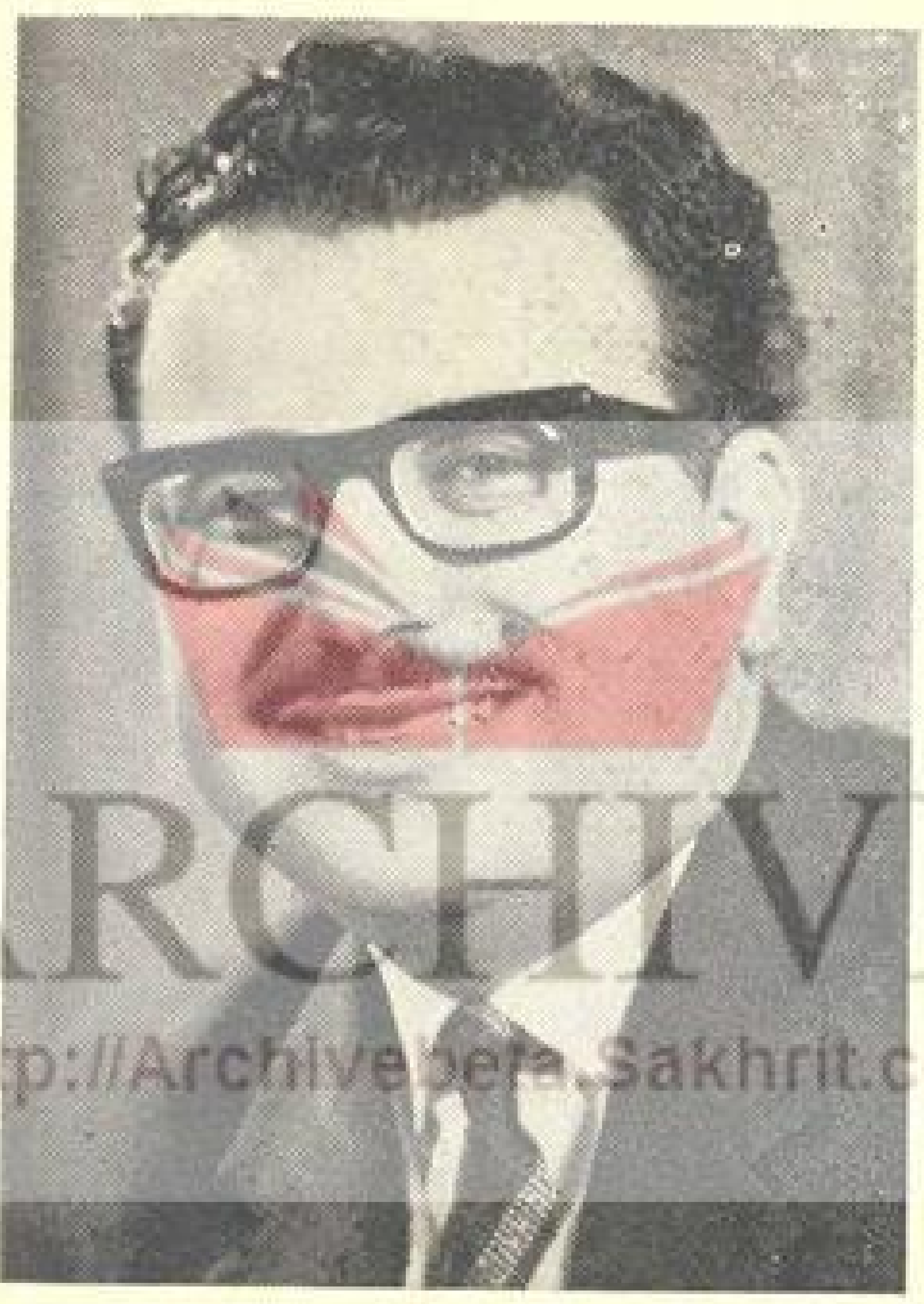
ـ هل تريد ان انتقم لك من قاتلك يا ابي ؟

وينتهي الدرس . ويقرع جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، ويخرج حمدان تائها مع رفاقه الى الازقة الترابية الضيقة ويعاوده شيطانه بهذا الحوار من جديد :

ـ اقتله .. لا تقتله . اقتله .. لا تقتله . بل يجب ان اقتله (يقولها لنفسه بحزم) هذا اذا كنت ابن ابي حقا ، ف (نواف) ليس اشجع مني ولا اوفى لابيه مني عندما ذبح قاتل ابيه بالسكين من الوريد الى الوريد . قالها حمدان بصوت مسموع وخشي من ان يكون قد سمعه احد من رفاقه الذين يحيطونه دائما بنظرات الاشفاق والعطف والفضول ، ثم دلف في احد الازقة الضيقة مهرولا ، كأن احدا يتبعه .

★

بدأ جسم حمدان ينحف . لم يعد يأكل كما يجب . فقد شهيته للطعام وبالتدريج فقد شهيته للحياة . كاد يفقد اعصابه . صورة قاتل ابيه



عبد الله الشيتي

•

التي يجهل معالمها تتخطف نظراته في كتبه وكراريسه ، وفي حلمه ويقظته ، وفي ليله ونهاره ، واهله من حوله ما برحوا يحمسونه لاخذ الثأر ومحو « العار » ـ انت يا حمدان جبان .. من لنا سواك يأخذ بثأر العائلة من القاتل الذي عاد الى دكانه بجوار دكان ابيك المغلقة يتحدانا جميعا ؟ اقتله يا حمدان . لا ترحمه فهو لم يرحمك ولم يرحمنا خذ بثأرك وثأرنا منه . خلصنا من شره ، ودع اباك يرقد في ضريحه قرير العين ، ناعم البال مرتاحا . ما زال الدم المسفوك على الطريق يصرخ يا حمدان .. ما زالت روح ابيك تحوم فوق رؤوسنا تطالب بالثأر .. الثأر .. الثأر ..

تصبب العرق غزيرا من جبهة حمدان ، واحس بما يشبه الدوار وكاد يتهاوى على الارض اعياء ، عندما دخلت عليه امه في غرفته ، وهي مسربلة بالسواد ، وتجاهلت كعادتها حالته النفسية السيئة ، وبدأت تثرثر على مسامعه معزوفة كل يوم بل كل ساعة من ساعات الليل والنهار :

ـ يا حيف على الشباب الذين مثلك يا حمدان ! ليتني انجبت بنتا لكان ذلك افضل منك الفمرة . ابوك يموت غدرا وانت تسكت عن الانتقام من قاتله ؟ انت جبان يا حمدان ، ما فائدتنا منك ومن علمك ما دمت لا تستطيع ان ترفع رؤوسنا بين الناس ؟ يا خسارة ما انفقه ابوك على تربيتك وتعليمك . لشد ما انت ولد عاق وضيع . وحمدان يجد لها تبريرات كافية . يحاول ان يمسك اعصابه . يحاول ان يقاطعها بكلمات متوسلة يائسة :

ـ ولكن يا امي ارجوك ان تصغي الي . حاولي ان تفهميني . انني .. وتقاطعه امه غير مبالية بتوسلاته :

ـ انك لن تكون ابني ولن اكون امك حتى تبدل ثيابي السوداء هذه بثياب بيضاء جديدة ، ثياب الفرح بعد قتل المجرم واخذ الثأر . ويصيح حمدان وهو يجمع كتبه ودفاتره المبعثرة من حوله ..

ـ هبي ان المجرم كان اقدر مني وقتلني انا الآخر ؟ ترد امه بهدوء : غافله . اقتله من ظهره . اكمن له من خلفه . قال حمدان : ثم ان المجرم نال عقابه ، والعدالة قالت كلمتها حاولي ان تفهمي ذلك يا امي . وتزجره امه ـ اسكت يا جبان . ليس لمثلك حديث القانون والعدالة . المجرم لما ان قتل اباك لم يكن يفهم عدالة او قانونا . ان السنوات الخمس التي

عوقب بها القاتل لم تشف غلتي ولم ترو ظمأي للثار وظمأ اسرتك . هو لم يرحمنا حتى نرحمه . انك لو قتلته يا حمدان فستكون عقوبتك طفيفة . سجن بضعة اشهر ليس اكثر . اتدري لماذا ؟ لانك اخذت بثار ابيك ثم تنتهي المسألة عند هذا الحد ونرفع رأسنا جميعا بين الناس .. قل لي متى يا ترى نرفع راسنا بين الناس .. متى ؟

تساءل حمدان : طيب ، واذا ادانتني المحكمة بجرم القتل عمدا عن سابق تصور وتصميم كما يقول المحامي هل ستسرين عندما تشاهدينني معلقا من رقبتي بالمشنقة ؟ اظن انك يومها سوف تحتاجين الى كل الثياب السود في العالم .. وضحك بسخرية يخفي وراءها عصبيته الظاهرة ، لكن امه اخرجت من جيب سترتها الداكنة مسدسا صغيرا جديدا ، وتمتمت بكلمات كأنها فحيح الافعى : — خذ هذا المسدس . اشتراه لك خالك منذ ايام . يجب ان تترصد قاتل ابيك وتصرعه امام دكانه وامام الناس يتخبط بدمه مثلما صرع والدك المرحوم .. خذه وجربه من فورك . خالك يقول ان استعماله سهل جدا انظر .. يكفي ان تصوب المسدس هكذا الى ظهر القاتل او صدره ثم اضغط هكذا على الزناد ، فتخرج الرصاصات دفعة واحدة وينتهي الامر بلحظات .

وبيد مرتجفة تناول حمدان المسدس الصغير المحشو بالطلقات الخمس وتدافعت كلمات امه كالقذيفة وهي تمسح على شعره باناملها الناحلة :

— قو قلبك يا ولدي . شد حيلك وليكن الله معك . وحذار ان تطلع اي انسان على هذا الامر كي لا يأخذ قاتل ابيك الحيطة لنفسه ، ويلجأ الى الشرطة لحمايته . ظل حمدان صامتا لا يحير جوابا ، وقد اطرق برأسه الى الارض ساهما شاردا كأن جبلا من الهموم يجثم فوق كاهله ، وظلت يده ترتعش والمسدس يلمع ببريق مذهل مخيف .

في المساء كان حمدان امام دكان قاتل ابيه . كان اسم القاتل عباس وفوجىء بأن عباسا ليس موجودا . قال له صبي المحل — لقد ذهب الى البيت ليعتني بزوجته المريضة . تساءل حمدان — اهو متزوج اذن ؟

قال الصبي — وعنده ولد وحيد اسمه خالد . قال حمدان — كم عمره قال الصبي — خمس سنوات . رزق به وهو في السجن . وتمتم حمدان بينه وبين نفسه وهو يتابع سيره — خمس سنوات ؟؟ وخمس رصاصات .. في عمر الجريمة . لا بد انه رزق به يوم قتل ابي ، هنا امام الدكان المغلق ؟ كنت صغيرا عامذاك لا افقه شيئا . وهز راسه فيما لحق به صوت الصبي يصيح تعال . انني أناديك يا شب . قل لي من انت حتى اخبر معلمي ، ولماذا سألتني كل هذه الاسئلة . هل تريد منه شيئا .. هل تريد ان ابلغه اي شيء ؟

واجابه حمدان بدون مبالاة — لا شيء يهم .. لا شيء يهم . اذهب الى عملك . وقبل أن يستدير الصبي استدرك حمدان قائلا — اسمع يا غلام ! هل يبعد بيت معلمك من هنا كثيرا .. ؟ اجاب الصبي — انه في الحارة الثانية بعد ان تقطع هذا الزقاق ، تجده على يدك اليمنى . اول بيت بابه عريض ولونه اخضر . وتمتم حمدان — لونه اخضر ؟ تماما بلون عيني حبيبتي يسرى . واسرع حمدان الخطى . سوف يذهب الى البيت من فوره . سيقرع الباب وسيخرج اليه عباس . سيقول له ببساطة : انت قتلت ابي ، ويجب ان اقتلك لاثأر له . امي تريد ذلك وافراد الاسرة اصدروا حكمهم عليك واختاروني انا .. ابن القتيل فخذها من يدي .

عاد حمدان يتمثل « جريمته » قال لنفسه : — امي معها حق ! امي تقول ان علي تنفيذ الحكم في القاتل لاني ابن القتيل ولكي انجو من العقاب الشديد بدافع من حمية الاخذ بالثار سوف لن ادعه ينبس ببنت شفة ، ولن امكنه من الفرار . سأنقض عليه بكل قوتي واهشم راسه بقبضة المسدس . سوف ابادر الى مسدسي فأفرغه في رأسه .. لا .. في صدره احسن واضمن . وتسمر فجأة . هذا هو البيت عند المنعطف والباب العريض الاخضر مفتوح على مصراعيه .. لونه اخضر ؟ تماما كلون عيني حبيبته يسرى . من يدري ربما لن يقدر لنا ان نتزوج .. ثم من يرغمها على الانتظار والزواج من .. قاتل ؟ هز رأسه غير مبال . ووقف قبالة الباب المفتوح يسترق البصر . برز امامه طفل صغير يلهو بدمية حلوة تكاد تشبهه ، واخذ يتفرس في وجه الصغير الذي راح بدوره ينظر الى الغريب الواقف في الباب ويبتسم .. حاول حمدان ان يعبس ويفتعل الصرامة الحادة .. انه ابن قاتل ابيه ، وعليه ان يكون قاسي القلب ، لا يرحم . عليه ان ينهي مهمة القتل فورا ، فهو قد استعد وتمرن واصبح « جاهزا » للتنفيذ . سأله الطفل ببراءة — بدك بابا ياعمو قال حمدان — ما اسمك يا ولد ؟

— اسمي خالد . تعال عندنا ! قال الصغير هذا وهو يبتسم ويقترب منه . امسك الصغير بيد حمدان كأنه يعرفه من قبل . وحاول ادخاله عنوة الى البيت ، فيما راح الطفل ذو السنوات الخمس يزقزق كالعصفور — تعال ادخل معي يا عمو بابا هون . الدكتور جوا .. انا بحب الدكتور . ماما مريضة كتير .. انت عندك لعبة متلي ؟ الدكتور بدو يشفيلي ماما يا عمو !

ووجد حمدان نفسه يحمل الصغير الثرثار بين يديه وراح يعابثه — انت بتحب بابا اكثر او ماما يا خالد ؟ وطفق الصغير يغمغم وهو يقضم

الغـائـب

أيها الغائب عنا لو تعود !
أنت لا تدرك ما حل بنا
بعدك الايام ، جفت ... صوحت ..
صوحت أيامنا ،
بعد أن دامت لنا طيبا وجود

آه لو تعلم أنا ،
غربة تجري بنا الايام للدار الغريبه
لهفة صادية النجوى ، وأحلام كئيبه
دمعة في كل آن ،
وشرود ،
وعذاب ،
ومتاهات عجيبه

أيها الغائب قد شلناك كبرا
في مآقينا وغنيناك ألحانا وشعرا
وأنتصرنا لك ، للبسمة ، للدنيا الجديده
تشعل الرقصة والنشوة فينا
تحمل الفرحة واللقيا السعيده

أيها الغائب عنا
عشت في اعصابنا شوقا مريدا
حملتك النظرة الولهى حضورا ،
وتصبتك وجودا
ولئن طال غيابك
وجفانا الزمن القاسي ،
وما هل ايابك
عشت فينا
عشت في أعماقنا
ورصدناك مع الشوق سنينا

موسى صرداوي

قطعة حلوى كان يلهو بها — انا بحب ماما وبابا . بحب بابا كتير يا عمو لاني ما شفتو من زمان .. ماما بحبها بس بابا كان مسافر .. ماما مريضة ياعمو .. انت عندك امك ؟ انتفض حمـدان . واصطدمت يد الطفل الصغير بطرف المسدس في جيب حمدان وصاح من الفرح — هـــذا « فرد » مش هيك يا عمو ؟ بابا جاب لي واحد صغير تعال شوفو . بابا كل يوم بيجيبلي لعب حلوة كتيــر وهدايا . هذا « فرد » فلين مش هيك ؟ عندي واحد متلو . هــز حمدان رأسه موافقا . اعاد الطفل الى مكانه على الارض وسأله الصغير بس هذا الفرد كبير . هذا لمين ؟ الك يا عمو .. او لابنك ؟ وتمتـم حمدان — لأ يا خالد . هذا الفـرد لابوك . انا ما عندي اولاد . هــذا منشان « ابوك » ! وضحك الصغير ببراءته واندفع نحو حمدان مهرولا بحضن ركبتيه . ومره أخرى حمله حمدان بين يديه وهم بطرق الباب وهو يتحسس المسدس واذ برجل طويل القامة حزين القسمات نحيف البنية يخرج من غرفة مجاورة وهو ينادي باعلى صوته — خالد اين انت ياخالد .. تعال هنا ياخالد . والتقى الاثنان . ساد الصمت لحظــــة . عباس وحمدان وجها لوجه . وانفلت الصغير يركض باتجاه ابيه — بـابا بابا .. هذا عمو . وتحسس حمدان المسدس ثانية في جيبه وارتعشت يده . تساءل عبـاس وقــد خط الشيب شعر رأسه — من انت يا بني ؟ تفضل .. تفضل ادخل . هل استطيع ان اخدمك ؟ هل تبحث عن احدهنا ؟ هل .. قاطعه حمدان وهو يشيح بوجهه ويرتعش — انا حمدان ابن الذي قتلته من خمس سنين .. اتذكر ؟ وبسرعة اخرج حمــدان المسدس وصوبـه باتجاه عباس . مضت فترة صمت ثقيلة . الرجل فاغر فمه دهشة وذهولا . والطفل نفسه قد ماتت البسمة في وجهـه واكفهرت قسماته . وفجأ اختلجت عينا حمدان وراح يبكي بكاء حادا مرا وهويقول بكلمات متقطعة واهنة :

— ابنك يمنعني مــن قتلك . اتسمع ايها الرجل .. ؟ لقد جربت انا اليتم . ابنك يمنعني من قتلك . عيناه البريئتان تتوسلان الي كي ابقيك له . هيا .. هيا اغرب عـن وجهي . ابتعد عن طريقي .ابتعد ، ارجوك . سقط المسدس من يـد حمدان على الارض يغمره التراب ، وهرول راكضا في الزقاق الضيق لا يلوي على شيء ..

عبد الله الشيتي

مكتبة الاديب



دراسات في الادب العربي والتاريخ

تاليف محمد عبد الغني حسن ـ (؟) صفحة ـ منشورات الدار القومية بالقاهرة ـ المطبعة (؟)

تتجلى الملامح العريضة في هذا الكتاب ، اكثر مما تتجلى في هـذه القضايا الجديدة التي عرض لها المؤلف من خلال دراساته الواسعة ، واطلاعاته الكثيرة الواعية ...

ولقد تثير هذه القضايا التي تناولها الاستاذ محمد عبد الغني حسن التساؤلات اكثر مما تثير التسليم الذي عودنا اياه الباحث في جل تواليفه ، وجملة مصنفاته التي تلعب الان الدور الخطير في تشكيل المكتبة العربية ، وتأخذ وضعها بين اللدات الفضليات في الوطن العربي الكبير .

اثارت هذه الدراسات الواعية جملة تساؤلات : كان اكثر الباحثين يقفون حيال بعضها موقف الريب او التشكك او الوقوف دون رأي ، اللهم الا ما كان يجري داخل المنتديات ، او داخل النفوس ، او مـا يكتنف العقل ، وهو يراجع ، او يعتور التفكير حين يهم باليقين او القطع او الانتهاء الى رأي في مثل هذه المشكلات التي صاحبت الادب هذه الاعمار العديدة ..

والتوفيق الذي صادف هذا الدارس في هذه الدراسات لا يقل بحال عن التوفيقات التي صاحبته في اكثر القضايا التي عالجها ، او وقف لها بالتجلية والوضوح والتبيان .

على ان المحامد تقصر عن الاتساع ، اذا قلنا ان بعض قضايا هـذا الكتاب لم يتناول من قبل ، او لم يعرض له بالدراسة ، او لم يفتح بابه الا بعد ان راده الاستاذ عبد الغني حسن في بعض مجلات العالم العربي ، او صحفه المنطلقة ، فكانت دراسات ودراسات بنيت علـى الحاصل الذي هدي اليه الباحث ، او النتيجة التـي ختمت بهـا الدراسة ..

وما نعلم ان باحثا من البحاث تعرض لمراثي الشعراء لنبى هذه الامة العربية ، وما خطر لدارس ان يجمع رسائل الاباء الى الابناء ، او يعرض بالتحليل للاخوة الادباء المؤلفين ، او عرف ان ابن خلدون كان شاعرا : غير ما صح للدراسة التحليلية المقارنـة والحوار والحنين الى الاوطان ، او ما داعب النسيم والنخيل ، او صور الفقر والغنى والحريق في الشعر ...

غير ان المضي في السرد لا يغني عندي عن الوقوف امام هـذه القضايا الخطيرة التي اصبحت مدار بحث ، ونقطة تحول في الدراسات الادبية الجادة ، وان كان العرض والاستكناة والمناقشة هي محك هذه القضايا التي جمعها هذا الكتاب بعد طول المعاناة والممارسة والبحث والتقصي والتعب والجهد ...

يعرض الاستاذ عبد الغني حسن للاخوة المؤلفين فـي الآداب ، ويسرد طائفة من هؤلاء الاخوة الذين اشتركوا في عمل واحد ، ويحلل الاثر الذي اشترك فيه الاخوان او الاخوات ، ويدفع الى الاستغراب كما يساق الى الظن اذا اشترك شقيقان في بحث واحد او قصيدة واحدة او نظما ديوان شعر برمته ، حتـى وقف مع المعري فـي عجبه مـن اشتراك الخالدين : ابي بكر محمد وابي عثمان سعيد في ديوان شعر واحد ...

ولعل الفصل الذي عقده الباحث حـول رسائل الاباء الى الابناء ، يعد من الفصول الممتعة التي ضمها هذا الكتاب .. فالغاية من هذا الفصل الدراسة ليس الجمع واطلاع القراء على هذه الحصيلة التي وعاها الكاتب، وان كان الدافع اليها تنشئة البنين تنشئة صالحة على اساس من الخلق والمعرفة ...

والذي يلفت في هذا المساق ، ليس وحده هذه الثروة المخبؤة التي كشف عنها الباحث ، وانما المناقشة والادلاء بالرأي .. فحين يعرض الاستاذ عبد الغني حسن لرسائل حافظ عوض ، ورسائل احمد أمين ، يهمه الوصول الى السر في كتابة هذه الرسائل ، والفـرق بينها « فحافظ عوض كتب رسائله الى ولده المغترب في سبيل العلم وخص بها ولده ، ولم يستحضره في ذهنه حين كان يكتب ، وانما كان الابن حاضرا ... والثاني كتب الرسائل الى ولده على مرأى ومسمع من الناس ، ولعل الناس قرأوها في مجلة الهلال بمصر قبل ان يقرأها الابن في انلجترة ، ولعل الاب لم يخص ولده بهذه المنشورات رسالة رسالة ، وانما اكتفى بأن يطلع الابن عليها منشورة في المجلة » ...

ويعنى الباحث الفاضل بفارق اخر يمضي به في اثبات حجيتـه في الفوائد الجليلة في هذه الرسائل .. ذلك .. « ان رسائل حافظ عوض قد نشرها ابنه في كتاب قدمه هو بنفسه ، ضنا بنصائح والده ، واما رسائل احمد امين فقد جمعها هو بنفسه وقدمها ، مؤملا ان ينتفع بها الجيل الحاضر كما انتفع بها ابنه ...

على ان الدلالة الصادقة على التقسيم الفرقي بين رسائل الرجلين، لا تخلو من همزات القطع التي وضعها الباحث على جل مسائل هـذا الباب .. فيبدو الكاتب في هذه المناقشة ناعم الملمس ، حلو السمات، وان كنت انا شخصيا اتلمس له كثيرا من الاراء المعصوبة التي يتبنيها المدقق في مساق هذه الاراء ...

ولا يعترضن معترض ، ان كان للباحث وسط هذا العجاج رأي يريد ان يفصح عنه ، وان كان من طرف خفي .. فالاستاذ عبد الغني حسن يمشي الهوينا ، وهو يسرد او يناقش ، ولكنه يقف ليحاسب ، وان كان في حسابه سليم النوايا ، مأمون الجوانب .. ففروق الزمان بين رسائل حافظ عوض ورسائل احمد امين ، وهي فروق قليلة لاتزيد على الثلاثين عاما ، تريه الفرق بين عهد وعهد وبين مهد ومهد ، وان كانت الفوارق هنا ، لا تغني عن الدفاع ، او تقوم حجة علـى عصر وعصر ، او عهد وعهد او بيئة وبيئة ، ولكنها فوارق ، يفصل فيهـا التزمت بين عقل وعقل ، وان تلمس لها الباحث الاعذار ، وجمع لها من الادلة العقلية ، ما يعم به النفع ، ويتم به القصد ...

ويذهب الباحث الى الاندلس حيث يجد علي بن سعيد واباه موسى ، ويثبت الحوار الذي دار بين الاب وابنه في ابيات له وفـي قصائد لشعراء اخرين ، ثم لا يغنيه ما دار من حوار شعري بينهما ، فيسلك واياه طريق النصح النثري الذي هو مجال هـذه الرسائل ، وميدان حكمائه ، ومسرح التمثل والتمثيل فيه ...

ولم يفت الباحث ، وهو يوفي دراسته ان يذهب الـى العصر الجاهلي ويوغل في صدر الاسلام ، ويثبت نصيحة عمر بـن الخطاب لابنه عبد الله ، ونصيحة علي بن ابي طالب لابنه الحسن ، ثم يدخل العصرين : الاموي والعباسي ويثبت اشهر رسائل النصح التي وردت فيهما ، ثم هذا النقد الناعم لاحمد امين وهو يضع امام ابنـه قصة لقمان لابنه التي تعد نموذجا واثرا وان اثارت في النفس اسئلة عجيبة

كثيرة عن شخصية لقمان ولغة رسالته : أكانت العربية ام اختا من اخواتها السامية ؟ وعن كيفية وصول هذه الرسائل الى الادب العربي؟ ومن الذي وضع اول نص عربي لها في تراثنا ؟؟

ويتحدث المؤلف عن الاساليب الكتابية للرحلات العربية في القديم والحديث ويتابع الاهتمام بالخلافات بين كل رحالة واخر من حيث المنهج والاسلوب ، والرؤية والتصديق والاتصال والمحاولة والدراسة والموازنة والاستعداد والقبول والارتياح والولوع ، ويصاحب جملة الرحالة في مذاقهم الخاص في تدوين رحلاتهم ، ثم يختلف ان كان ثمة ما يستدعي الاختلاف في النظر الى الرحلة ، او الوصف المشاهد ، او الطعم الذي يؤثره هذا الرحالة على ذلك .. فمن ابن جبير الى ابن بطوطة الى الشدياق الى الريحاني الى رفاعة الطهطاوي الى فتح الله الصقال ..

ولقد كان الاستاذ عبد الغني حسن محقا في عقده فصلين عن : « اصول الالفاظ المعربة » ، و : « غايتنا من احياء المخطوطات » ... فلغات العالم كله عرضة للاخذ منها او لاخذها هي من غيرها ، سواء أكانت غالبة ام مغلوبة .. وليس في هذا الاقتراض او هذا الاخذ من بأس ما دام يسد حاجة عند المقترض ، كما يسد المال والمتاع حاجة عند الاقتراض ، ثم تلك المناقشة الطريفة التي عمر بها هذا البحث عن المفردات المعربة في اللغة العربية الى الالفاظ المعربة في القرآن الكريم ، وآراء بعض العلماء ...

غير ان الغاية التي انتهى اليها الباحث من احياء المخطوطات ، هي الاختيار والربط والمدى الذي يربط الامة العربية بثقافتها القديمة ربطا يكون ذا صلة قوية بين هذا الحاضر ، وذلك الماضي بعد الغربلة وازالة ما لم نكن في حاجة اليه .

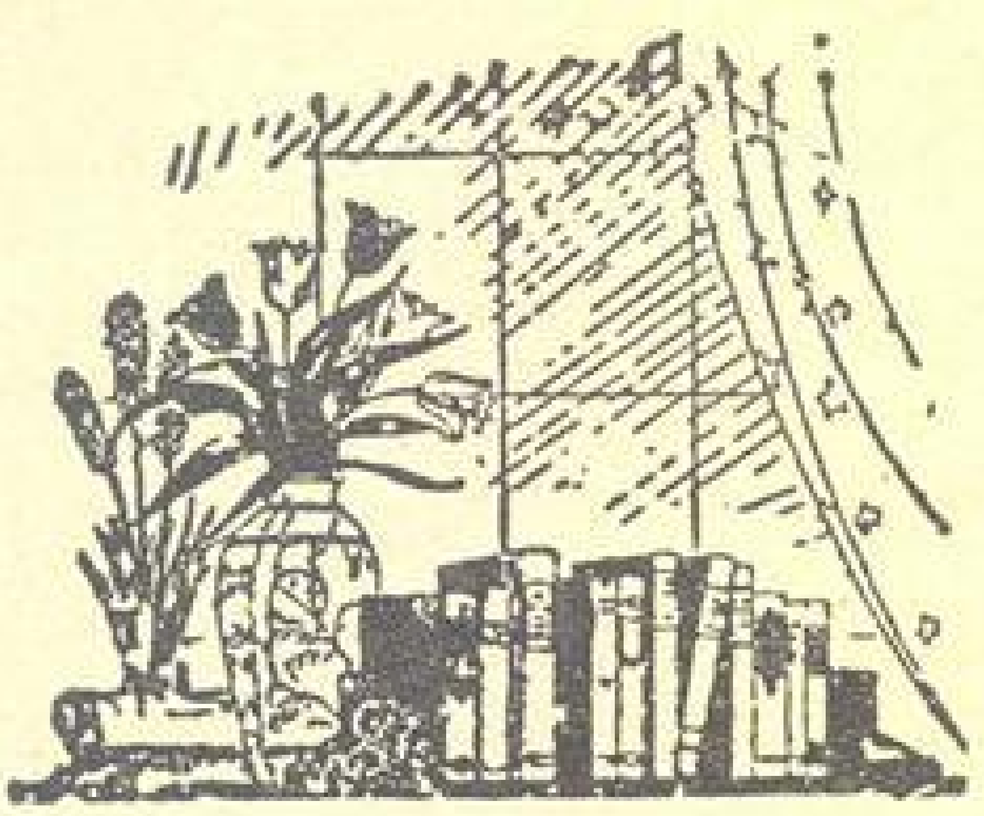
والواقع ان حركة احياء التراث على هذه الصورة لما يبعث على الجور على مجهودات علماء اعلام ، تركوا تراثهم الى حركة البعث التي تنظره في يوم من الايام ، او حركة الظهور في ازمان قد ترجع اليها ان هي راجعت ماضيها وعرفت شأو هؤلاء العلماء ، ولكن ان نحن اهملنا هذا التراث وقصرناه على ما يربطنا بماضينا دون غيره من سائر الاتجاهات ، كانت النتيجة بتر هذا المجهود والقضاء على هؤلاء الاعلام، كالذي نفعله اليوم في عملية الاختصار والحذف لبعض هذه الكتب ، وتتناسى ذلك المجهود او تلك المجهودات التي عكف عليها الذين اولعوا باثبات الاسانيد والرواة ، وان كان لا يقف هذا الاثبات حائلا ، او يكون سببا في تعطيلنا عن المضي في ركب العلوم والثقافة العالمية المعاصرة.

والدقة والضبط في معاجمنا اللغوية اكثر ضرورية واكثر لزومية .. فالمعنى لا يبلغ كماله ولا يصل الى السامع او القارىء دقيقا او محكما ، الا اذا كان معتمدا على الدقة ، مرتكزا على الامانة ، والا كانت البلبلة والاختلاط وعدم الوضوح او كان هذا الضد الذي يفسد هذا المعنى ، ويستحيل الى غير ما اريد له ... لذلك كان هذا الرأي الذي دعا فيه الاستاذ عبد الغني حسن الى المراجعة والمعاودة بالضبط والتحقيق والغربلة والنخل لهذه المعاجم ، حتى يكون هذا الربط بين هذا التراث الحاضر ، وكنوزنا في القديم ..

ويمضي الحديث في هذه الدراسات الى مؤلفات الغزالي وآثاره والاشتراك والافتراق بين الاخوين ورأي الفرنجة والمؤرخين العرب فيه، وما قد اصاب مصنفات الفيلسوف من تغيير في عناوينها ، فبدت وكأنها كتب جديدة غير كتبه المتعالمة المتعارفة ، ونقده وانصافه ، حتى تعدى هذا الانتصاف رجلين في كتابين ، هما : « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » للراغب الاصفهاني ، و « المستطرف في كل فن مستظرف » للابشيهي .

ثم يقف المؤلف الفاضل وقفة كبيرة امام هذا الباب من ابواب الشعر الذي لم يجمع في كتاب ، ولم يتناول بالدرس والشرح والتحليل ، اللهم الا تلك السطور التي وردت متناثرة في بعض الكتب وتضاربت حول جلها الاقاويل حتى ليروع المطالع لاخبار الرثاء ، انه

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

لا يجد في كتاب الطبري على طوله وضخامته وتوسعه في اخبار الرسول وولوعه برواية الشعر المناسب لاحداث التاريخ بيتا واحدا من قصيدة رثى بها النبي عليه السلام !

وبحسب الاستاذ عبد الغني حسن ، ان يكون له فضل هذا الباب، والالمام به والتوسعة فيه . فقد تابع المناقشة لابن الاثير في كتابه « الكامل » وابن هشام في « سيرته » وما قاله حسان بن ثابت في صاحب الدعوة الكريمة ، وانفراده بين شعراء المراثي بعاطفة خاصة عن شعور شخصي وانفعال ذاتي ، نبعت من لصوقه بالنبي الكريم ، فضلا عن شعور الرثاء العام المعبر عن عظيم المصيبة وفداحة الخطب بالمرثى ، وان كانت هذه المراثي لم تقف وحدها على حسان بن ثابت ، بل تشارك معه شعراء وشواعر في الرثاء العام للنبي عليه السلام ...

وليس ينهض دليلا على المعاناة ، هذا الباب وحده ، فقد لحق به عدة ابواب ، هي الحوار في القصيدة العربية على مختلف مراحله في جميع العصور ، الى جانب الحنين الى الاوطان في الشعر العربي ، الى تصوير الشعر الحديث للفقر والفنى ، الى الحياة في شعر العرب ، غير شعراء اللهيب والنسيم والنخل .

ولا اخالني بحاجة الى الاعتراض على الحجية التي دفعت الاستاذ عبد الغني حسن الى ضم هذه الموضوعات التي احتواها موكب التاريخ، فما احسب الكتاب في حاجة بعد ما حمل من هذه الدراسات الخطيرة، الى : الثورات في المجتمع الاسلامي ، والمعاهدات والمهاونات في الاسلام ، وصور الحيلة والدهاء ، وعنصري الحيوية والاعلاء ، وهذه اللقاءات مع الغزاة والفاتحين والمهن والمجتمع العربي ، والفكر العربي بين الاستظهار والتفكير والتجربة ، وكتابة السير والتراجم ، وملاحظات الجبرتي ، وابن خلدون بين الشعوبية والتصوف ، والدعوات الملتوية والسلام ومناهضة الحروب .. اقول هذا واعطي لنفسي الحق في الاعتراض والدفاع .. الا ان يكون الباحث الجليل يريد اثراء المكتبة العربية بهذه الاطلاعات المرموقة في التاريخ بعرضه المعروف بالاستطراد والمناقشة ، ومساق حوادث هي انفع للادب ، وأثرى للاديب ، الا ان الرأي عندي ان تكون كتابا بذاته ، يتوسع في بعض ابوابه ، ان لم تكن كتابين ، يراعي في احدهما التناسق بين عدة الابواب التي يجمعها ، ويلاحظ في ثانيهما الترابط بين الموضوعات التي يقع عليها الاختيار .

لكن مهما كان الامر ، ومهما وقف هذا الاعتراض ، فدراسات الاستاذ عبد الغني حسن ، لا يتطرق الى طرافتها ونفعها اي شك او تصاب على مر الازمان بالوهن او الضعف ، فهي دائما محل تقدير البحاث ، وملتقى لكثير من الاراء ، ويكفيها ان تكون مراجع ، بجانب انها آداب وتاريخ .. تعلم وتحيل وتخلق في الدارس الاهتمام ، وتنبه فيه الوعي .. وما اعتراضي الا على الشكل والتقسيم والتبويب ، لا على الدراسة في ذاتها او المعالجة في نفسها ، وهذا ما يجعلني دائما انتفع بها واستفيد من مطالعتها ، وافاد من شحناتها الديناميكية التي تخدر العقل ، وتجعله دائما مشدودا ومندفعا الى البحث عنها .. وفي اي مكان ..

القاهرة **ابو طالب زيان**

•

المـــــورد

معجم ضخم للغة الانكليزية ، العربية ـ تاليف منير البعلبكي ـ ١٠٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ المطابع الاهلية اللبنانية ببيروت

اعجبت في كلامي على الكتب وعرضها وتحليل اجزائها وممارسة شخوصها بالوصف والتعريف ومطارحة مؤلفيها ، جوانب الرأي والمناقشة ، في بعد عن الجدل والتدليس ، باديبين عظيمين الاول صديقي الاسبق الكاتب العربي عمر الفاخوري والثاني الكاتب الفرنسي الفذ فرانسيس دو كرواسي .

لقد كان من طبعهما تفهم المؤلف والتفرس في تاليفه ، لان كلا الامرين متلازمان ، وكان النقاد العرب القدامى يقولون : من الف فقد استهدف .

وكان يعجبني كرواسي بشيء من الخاصية لانه يؤثر التغلغل الى ذات المؤلف وبذلك خطط في دراسات الادب الحديث مبادىء التحليل النفسي ، ومن رأيه ان الناقد اذا عرف المؤلف بذاته او كان معاصرا له كتب بشفاء الغليل ، ولم يتخذ الوهم والخيال سبيلا اليه ، ومن مذهبه ان النقد والدراسات عملة فكرية يجب ان تكون متداولة ومعروفة.

جالت بخاطري هذه الافكار وانا انظر بفرحة وطرافة ود وقرابة عهد الى معجم « المورد » لمؤلفه الاستاذ الكبير منير البلعبكي لاشرب منه كاسا روية هي نخب صدوره ، وهاجت بي الذكرى وانا ادلف الى منهله الثرار ، فمررت بها على شخوص ثلاثة من رفقة العمر هم الادباء الكبار : بهيج عثمان وسهيل ادريس ومنير البعلبكي ، كانوا كالاقانيم الثلاثة في الادب والفكر بل كانوا كالنعميات الثلاث ، اللواتي جلست طويلا اتفرس جمالهن الآلهي في متحف اللوفر بباريس سنة ١٩٦٠ في لوح دولاكروا .

كنت في تلك الاستغراقة الصوفية الروحانية امجد الخالق في اشعة الجمال الذي لا يفنى وقد انسكبت حتى الابد على جسوم النساء.

اما الاصدقاء الادباء الثلاثة فبعثوا في وجود الفكر العربي المعاصر أشعة الادب والعلم والمعارف ، فكان لبنان الحبيب موئل ثمارهم ومجنى مغارسهم الواعية وخواطرهم الوقادة العتيدة .

لقد انساب من بينهم الاديب الكبير الدكتور سهيل ادريس فاذار مجلة « الاداب » وبقي الاستاذان النابغان بهيج عثمان ومنير البعلبكي يديران مجلة « العلوم » وظل هؤلاء جميعا ومعهم معشر رافد يديرون دار العلم للملايين ، دارا للنشر الحديث والطباعة والتوزيع من الطراز الافضل الموثق .

انهم لم ينقطعوا عن دخائل المعرفة مع انبساط آفاق التجارة ، فاعطوا العالم العربي ثمارا شهية في العربية وضروب التواليف ما طار لهم الصيت البعيد ، واخر ما ظهر من هذه الثمار متوج ضخم هو « المورد » المعجم الانكليزي ـ العربي واني بمستشف القياس وممارسة الدرس والبحث في علم المعاجم والموسوعات الذي الي في محاضراتي الجامعية تدريس مادته ، يتاح لي ان ابدي القول وأحكم الرأي في هذا المعجم المبدع الجديد ، فاعده جهدا ضخما عريضا في ميدان التاليف المعجمي باللغة الانكليزية والعربية . وهذه المعجمات وان تكن تلم الماما جيدة بمفردات اللغة الانكليزية وبعض المصطلحات العلمية والفنية الا انها لم تعد تفي بشكل متكامل بمطاليب المترجم في هذا الوقت .

فمعجم « المورد » يعد عونا كبيرا ورفدا علميا حديثا للمترجمين ولاساتذة المدارس الثانوية والعالية ولطلاب الجامعات والمعاهد الثانوية، وللباحثين اجمعين في الادب الانكليزي في اللغتين الانكليزية والعربية بوسيلة المعاجم .

واذا ادرت الطرف لارى وجوه التمييز واعرض على التنقير هذا المعجم برزت لي فيه الامور العلمية الآتية :

١ ـ ان الباحث عن المصطلحات او المفردات الادبية او الفنية او الحضارية الحديثة ، كان يجد نفسه في نطاق من الحيرة قبل ان يرد « المورد » ويحس انه بحاجة للرجوع الى المعاجم الكبرى في اللغة الانكليزية ، وهي معاجم غير مترجمة الى العربية ، لفتها منها واليها ، مثل قاموس ويستر الكبير واكسفورد وغيرهما من القواميس الضخام

ذوات الشروح المتواترة التي تستغرق الكلام في تفسير القول ويغوص الباحث فيها فيهدر الوقت بجدوى يسيرة . اما « المورد » فقد مارس الشروح الدقاق باختصار مفيد ، فأمكن استخراج المعاني فيه بسهولة واطمئنان .

٢ – اعتمد المؤلف الموفق الاستاذ الكبير منير البلعبكي في تاليف معجمه على القواميس الكبرى وأبان بها ثبتا مفصلا في اول المعجم .

٣ – وتقدم عناصر معالجة اللفظ في معجمه على توضيح اللفظ بين معترضتين فيبين الى أي جزء من اللغة ينتمي هذا اللفظ ، هل هو اسم او فعل او صفة ... ثم يوضح الطريقة لقراءة الكلمة (أي الى هجائها) .

٤ – يشتمل هذا المعجم على امور موسوعية كثيرة .

٥ – يحتوي « المورد » على مئة الف كلمة مما يوضح مدى شمول المعجم الانكليزي والاميركي المعاصرين .

٦ – تتحدث مقدمته عن المجال الذي تجود بـه الكلمة بمعانيها ومراميها ، وعن طريقة الترتيب الابجدي والفكري الـذي سار عليه المعجم .

٧ – يكاد « المورد » لما فيه من ازدحام المعارف ان يقترب من موسوعة او دائرة معارف مختصرة ، بل لعلي أجده في سعة باكثر من ذلك ، حين اراه يشتمل على اسماء الاعلام ولا يكتفي بأولئك الذين عاشوا ، وما زالوا يعيشون ، وانما يحتوي – الى ذلك – على اسماء اعلام ابدعتها القصص وخلفتها المسرحيات العالمية (اي شخصيات خيالية) مثل شخصية « شايلوك » ونوردها كما ظهرت في الصفحة ٨٥٢ من « المورد » .

شايلوك : مراب لا يرحم Shylock (Shilŏk) (N.)

٨ – يزدان المعجم بصور ورموز وهذا ما يميزه من بعض المعاجم الاخرى التي سبقته في الظهور .

٩ – في اول « المورد » مفتاح للنطق يحتوي على الرموز المستعملة لتوضيح النطق بالنسبة لكل كلمة في المعجم .

١٠ – ان « المورد » قاموس حي مساير للعصر بحيث تجد فيه مصطلحات Idiams وكلمات علمية وادبية وفنية ومصطلحات فلسفية وتعابير سياسية وتعليمية . ولم يخل من الادلة التاريخية والاثرية ، وهو يساير تطور هذه الشؤون وما جد منها حتى تاريخ ظهوره لعام ١٩٦٧ . ولقد لبس رداء العصر متخذا من الالفاظ والكلمات حوار الدهر كله .

١١ – ويعني « المورد » بالالفاظ العامية واللهجات المتبعة في الصحافة والاذاعة والتلفزيون ليساير العصر ويتمرس بعناية ملحوظة بالادب الانكليزي والاميريكي المعاصرين .

وهذه الالفاظ يطلق عليها الانكليز كلمة Slang وتصادف المترجم في كتاب او قصة او حديث ادبي انكليزي او امريكي ، فيجد نفسه في عراك معها للوقوف على صحة معناها ، فيغوص في البحث والدرس وفي المراجع وقد لا يحصل في اوبته على شيء ولا يهتدي الى سبيل. اما معجم « المورد » فقد خفف هذه الصعوبة وازال ذلـك التصادم فتحطمت العثرات امام المترجمين والقراء والباحثين .

لم يكن من طبعي في النقد والتحليل ان الجأ الى التقسيم العلمي لكني في كلامي اليوم على معجم « المورد » حملت نفسي حملا على هذا التقسيم الذي يفرضه البحث المعجمي و « المورد » من الكتب التـي اعجبتني ورضيت عنها . ومن عرف الاستاذ العلامة اللغوي منير البعلبكي معرفتي به وعاين صبره الطويل واناته الواعية وعلمه الغزير ، ولغته الصافية ، حتى اخرج للناس هذا الاثر العظيم ، فانه يعتبر مثلي ، عمله من اروع ما ظهر في عالم التاليف والطباعة الحديثة في القرن العشرين .

واختيار اسم « المورد » امر يعرفه العرب منـذ عهود الجاهلية حين كان الكلا والماء كل شيء في حياة الصحراء ، وظل المورد خلال العصور يروي العطاش حتى في صميم الحضارة الحديثة ، انني حين جلست في ظلال مساء صيف تحت نوافير ساحة الكونكورد بباريس خلال اشعة الكهرباء التي كانت تمازج انحدار المطافر المائية ، كنت اتمنى ان اشرب منها ، لقد كانت هي « المورد » بذاته ومنذا الذي لا يشتهي نهلة ظاميء من الماء النمير ومن « المورد » الصافي .

دمشق زكي المحاسني

•

زكي قنصل شاعر الحب والحنين

دراسة – تاليف عبد اللطيف اليونس – ١٨١ صفحة – طبع في بونس آيرس الارجنتين

صاحب هذه الدراسة الاستاذ عبد اللطيف اليونس مـن ادباء سورية وسياسييها البارزين ، عرفته المكتبة العربية في مجموعة طيبة مـن المؤلفات وعرفته دنيا السياسة نائبا عن صافيتا في المجلس النيابـي طوال سنوات ودورات كثيرة . وعندما ترك ربوع الوطن الى سان باولو في البرازيل ، حصر نشاطه في الكتابة والتاليف ، فاخرج لنـا ثلاثة كتب عن « المغتربون – ١٩٦٤ » و « شاعر عبقر – ١٩٦٦ » و « زكي قنصل – ١٩٦٧ » . وهناك طائفة اخرى من المؤلفات ما تزال قيـد الطبع .

استهل المؤلف الكريم كتابه هذا بقوله ان الاستاذ زكي قنصل انتزع لقب « شاعر غلواء » من المرحوم الياس ابي شبكة ، وتساءل عما

اذا كان يجوز له هذا ، وعما اذا كان يجوز لنا ان نجيزه !. ثم انتهى الى القول ان هذا اللقب طغى على اسم الاستاذ زكي قنصل ، وصار يعرف به بين الخاصة والعامة ، كما طغى من قبل لقب « النابغة الذبياني » على زياد بن عمرو و « شاعر عبقر » على شفيق معلوف ، و « بدوي الجبل » على محمد سليمان الاحمد و « شاعر النيل » على حافظ ابراهيم ...

ويتابع المؤلف فيقول ، « المهم ان ابا شبكة صار في دنيا الخلود .. وان لقب شاعر غلواء صار يعرف به مقترب من يبرود !. والاهم منه ان زكي قنصل قد حافظ على كرامة اللقب ، وزاد في شهرته وذيوعه وغناه . » .

بقي ان نعرف رأي انصار المرحوم ابي شبكة في هذا الموضوع !

قسم المؤلف الفاضل دراسته لشعر الاستاذ زكي قنصل الى اربعة ابواب هي : الوطنيات ، والغزل ، وانسانيات ، ومتفرقات . وقد تناول في كل باب من الابواب الاربعة قصائد معينة ، فدرسها وعلق عليها وحللها ، فكان في بعض ما كتب منصفا ، وفي بعضه مقرظا اكثر منه ناقدا ، وفي بعض اخر جزارا يحمل السكين ، يلوح بها .. ولكن دون ان يذبح !. وفي جميع الاحوال يبقى طابع الثناء والاعجاب، اللون المميز لهذه الدراسة « اللطيفة » ..

ومهما كان الامر فان امثال هذه الدراسة عن شعراء المهجر تحتاجها المكتبة العربية ، وتحتاجها واجهات المكتبات العامة ، ليعرفها ويتعرف اليها من يعنيهم الامر من ادبائنا وجيلنا المثقف الصاعد .

شيء اخير احب ان اقوله في هذه الكلمة العجلى ، هو ان الدراسة التي بين ايدينا تحتاج في ختامها الى مجموعة مختارة من شعر الاستاذ زكي قنصل ، ولا تكفي فقط الابيات القلائل التي استشهد بها المؤلف الصديق في معرض الدراسة والتحليل ، لان زكي قنصل من شعراء العرب المجيدين في المهجر ، وشعره يحتاج اليه جميع محبي الادب والشعر .

دمشق — عبد الغني العطري

•

الانسان روح لا جسد

تأليف دكتو رءوف عبيد – جزءان ١٣٢٠ صفحة – حجم كبير – طبع في دار الفكر العربي بالقاهرة

اقامت الروح الوجود واقعدته في البحث في ماهيتها وكنهها فتضاربت اقوال الفلاسفة واختلفت مذاهب الباحثين فلم يهتدوا الى ذلك سبيلا.

وقد يستدل مما ورد في الكتاب الكريم (ويسألونك عن الروح) ان البحث عنها كان منذ قديم وكان على جانب عظيم من الاهمية . وانها لجديرة حقا بأن تكون مسألة المسائل وسيدة المباحث . فقد اشار الله تعالى الى الجواب تلميحا لا تصريحا بقوله الكريم (قل الروح من امر ربي) أي انها من عالم الابداعيات الذي لا يفهه الا من اوقفه الله على اسرار الخليقة الخاضعة للامر القدسي . وكأن السائلين كانوا ممن لا تستطيع عقولهم ان تدرك الشرح الذي يختص بسؤالهم عن الروح . فورد باقي الآية الشريفة مخبرا عن ذلك القصور في الفهم بقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) أي ان العلم الذي انتم عليه الان ليس بكاف لان تفهموا به البيان الذي ترغبونه .

ومهما بلغ الانسان من التقدم في العلوم فان مسألة الروح بالنسبة له ما تزال من اغمض المسائل بل كأنها ما تزال كما كانت عليه من قبل عشرين جيلا بالرغم من ان الله تعالى ارشدنا الى معرفة هذا السر وحل هذا الرمز فهو الذي علم الانسان ما لم يعلم .

وكانت الصلة بين عالمي الروح والمادة تعتبر فيما مضى خرافة ما بعدها خرافة ، ودجل ما بعده دجل . بل انها كانت تعد من الامور التي لا يصح ان يقبلها عقل باي حال . وكانت تقابل بمعارضة شديدة عن أهل العلم انفسهم ..

ولقد كان الموضوع فعلا في غاية الخطورة وليس من السهل ان يقدم المرء على دراسته والغوص في اعماقه واستجلاء غموضه ، والكشف عن مكنون سره .

فكثيرا ما لقي الدارسون لهذا الموضوع والمتصدون له من صنوف التهكم والنقد المرير الشيء الكثير . وطالما لقوا من العذاب الوانا ، ولكم قاسوا الامرين على مر السنين والقرون بفعل الغيرة والعناد والاحقاد .

وبمرور الزمن ، وبالتدرج شيئا فشيئا ، اقبل نفر من ابرز علماء الفيزيقا والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحية ، واخذ الاهتمام يتزايد شيئا فشيئا في بلاد العالم المختلفة، حتى نشأت حركة واسعة النطاق للبحث العلمي في الروح ، سرعان ما كان لها صداها في اغلب بلاد العالم بما في ذلك بلادنا المصرية ، فشملت بلاد الحضارة المعروفة ، وفي نفس البيئات العلمية التي قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضي حتى الان . ولقد احتضنتها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا ووصلت كلها الى نتيجة واحدة ايجابية حاسمة وهي : ان في الانسان عنصرا روحيا متميزا بغير ما ريب عن عنصره المادي . ومنها ما وصل صراحة

وبشكل حاسم الى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين: احدهما مادي منظور ، والاخر غير مادي ولا منظور .

وهكذا كانت لهذه الكشوف قيمتها الفزيرة الكبيرة التي غيرت وجه التاريخ الانساني في تقدم العلم والعرفان .

وهكذا كان هناك اناس تمتلىء قلوبهم بالنور فلا يطيقون بعد ذلك ان يعيشوا في الظلام . فكانوا يعملون جاهدين على تفهم اخطر حقيقة كونية ادركها عقل الانسان بالفطرة ثم بالفلسفة النظرية ، ثم بالتجربة العملية ، ليطمئنوا على قدرهم وعلى مصيرهم . وهم بذلك يفتحون اذهانهم على امور كثيرة كانت غامضة في الحياة ، ولا يمكن ان يفك مغاليقها الا هذا البحث العملي فيما وراء الطبيعة ، الذي هو بمثابة رأس قنطرة الى عالم بل الى عوالم غير محدودة تعيش فيها كائنات بشرية غير منظورة منا ، كانت تعيش بين ظهرانينا .

والعلم الروحي الى ذلك دعوة قوية للتحلي بمكارم الاخلاق وتعزيز لايماننا بالله في عظيم عدله وحكمته ورحمته .

وكان الظامىء الى المعرفة والباحث عن الحقيقة اذا اراد احدهما ان يشبع نهمه او يروي غلته او يزودنفسه بشيء من العلم في هذا الموضوع لا يجد امامه سوى ما كتب بلغات اجنبية من مجلدات ضخمة لا عد لها ولا حصر . يرجع اليها الباحث او الدارس كلما اعترضه في الحياة سؤال وقف امامه حائرا ، تحز في نفسه الحسرة والالم لعدم وجود مثيل لها باللغة العربية ولو مترجما . الى ان قيض الله لهذا الامر الجليل عالما عاملا هو الدكتور رءوف عبيد الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، فعكف على هذا الموضوع سنين عديدة يدرسه ويمحصه ويستجلي غوامضه . بل لقد بحثه طيلة هذه السنين على اعتبار انه مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، والبينة على من ادعى .. فحصل فيه على قدر من المعرفة اقنعه ان من واجبه ان يكتب فيه لانه جدير بعناء هذه الكتابة . وبالرغم مما صادفه من عقبات ومعوقات وصعوبات ، امكنه ان يتخطاها جميعا بشجاعة وصبر وثبات وايمان ، اخرج لنا موسوعة فذة هي : « الانسان روح لا جسد » في مجلدين ضخمين يقعان في ١٣٢٠ صفحة من الحجم الكبير .

ولقد بذل المؤلف بالحق في هذا العمل الضخم جهدا كبيرا في سبيل خدمة اخطر حقيقة وصلت اليها جهود العلماء واكثرها ارتباطا بالانسان في حاضره وفي مستقبله على السواء . وكيما يحقق غايته المرجوة في تعريف القارىء او الدارس تعريفا صحيحا باهم الجوانب العامة في علم الروح الحديث .

وهو اذ يعرض للموضوع انما يعرضه من جميع زواياه العلمية والفلسفية والاجتماعية ، ومن جميع نواحيه ، عرض عالم خبير قوي الحجة ، قوي البيان ، قوي الايمان ، واضح الجادة ، غزير المادة ، طويل الباع ، واسع الاطلاع ، يدفع الحق بالوجه الاحق .

واذا كان من رأي شيشرون مشرع الرومان ومحاميهم العظيم « ان الدفاع عن الفلسفة اجل خدمة يؤديها الانسان لوطنه لان الفلسفة تثقف العقل وتهذب النفس وتغري بالتزام الفضيلة وتقي المرء شر الضلال » فان هذا القول لا يصدق على امر قدر صدقه على هذه الروحية العلمية بالذات ، كما جاءت في هذه الموسوعة التي بينت مدى عمق تاريخ الروحية في الخافقين .

ولقد راى دكتور رءوف في الطبعة الجديدة من مؤلفه الضخم عدة امور منها :

١ ـ التوسع في بيان الاسماء والمراجع العلمية الموثوق في قيمتها وفي مكانة اصحابها ، وفي اصالة اساليبهم العلمية ، والتي تعالج الجوانب الفاصلة في مصير هذا العلم .

٢ ـ الاستزادة من البينات والوقائع الهامة التي تكشفت عنها بحوث عدد وفير من علماء الصف الاول في الجامعات المعروفة وخارجها. وذلك بالاضافة الى البينات الوساطية ـ الفيزيقية والعقلية ـ التي افسح لها هي الاخرى مكانا في الطبعة الحالية يتجاوز كثيرا مكانها في الطبعة السابقة .

٣ ـ التوسع في الناحية الوصفية لعالم الروح لانها تمثل ناحية نجح هذا العلم في تبديد الكثير من غموضها ، والقاء اضواء جديدة عليها .

٤ ـ وقد حرص ايضا على ان يوفي الجوانب الفلسفية حقها من العناية على هدى ما خطته اقلام ابرز فلاسفة الروحية وعلمائها ، وما تنادى به الارواح الراقية من تعاليم راقية .

ولقد وزع المؤلف موضوعات موسوعته بجزئيها ـ على تسعة ابواب متتابعة على النحو الاتي : عجالة عن الروح عند الاقدمين ـ في نشأة العلم الروحي الحديث ـ في بعض الاسماء والمراجع فيه ـ في بعض البينات والوقائع ـ في موقع عالم الروح ـ في ظروف الحياة فيه ـ في الثواب والعقاب ـ في بعض المشكلات الفلسفية الاخرى التي يعالجها هذا العلم ـ في الروح بين العلم والاعتقاد .

وهو اذ يعالج الموضوع من هذه الموضوعات انما يلم بشتاته ويحصره ويعرضه عرضا مستفيضا مسهبا غير تارك فيه زيادة لمستزيد ، ولم تفته شاردة او واردة الا اشار اليها ، بطريقة سائغة شائقة ، وباسلوب اخاذ جذاب يبعث في النفس الهدوء والراحة والسكينة .

فما كان اسعدها تلك الساعات التي امضيتها مع كتاب « الانسان روح لا جسد » . فهو بالحق كنز ثمين للباحث عن الحقيقة .

ولست ادري بالضبط ماذا حدث من ترتيبات ومقدمات اتاحت لي الفرصة لوقوع هذا الكتاب بين يدي لاقبل على قراءته بنهم شديد ولذة لم اعهدها من قبل تحيطني روحانية احسست بها وكأني سابح في فضاء وسيع او في ملكوت لا عهد لي به .

ثم ما كان اسعدني بعد ذلك بلقاء دكتور رءوف عبيد والتعرف به والاستماع بحديثه في موضوع الروح ، وما تشعب من الموضوع الى

فروع : هل الخلود حقيقة علمية ؟.. الروح بين الايمان والالحاد ، الروح بين التأييد والانكار ، هل هناك جسد اثيري ؟.. موقف علم النفس الحديث من الجسد الاثيري للانسان ، الهالة البشرية ، ظواهر الروحية والعقل الباطن ، حاستنا السادسة ، دور علم الروح الحديث والربط بينه وبين العلم .. الى غير ذلك من موضوعات سرح بي فيها بعيدا بعيدا ، ثم افقت بعد وقت لاقول لنفسي : يا سبحان الله ، ان تدبيره عجب !.. أين كنت وهذا الرجل ؟ وكيف تم اللقاء والتعارف بيننا ؟ لا بد وان هناك اتصالا روحيا بيننا بحيث حدث هذا التفاهم الفكري قبل ان نلتقي ..

فشكرا على ما اتاح لقرائه من زاد علمي وغذاء روحي لا يسعهم ازاءه الا ان يرددوا ما قاله له شوقي من عالمه الاخر :

أخي أطريك اذ أطريت علما	جلى الحق وضحا وانتشارا
يحاديك الصمود بيأس ليث	تصدى للشكوك ومن أثارا
فلذ بالعلم و « الحق » اعتصاما	وذد شك المناهض ان اغارا
وصنف من مآثرك الغوالي	لعلم الروح ! سر فالركب سارا
يناصرك الخلود بكل مجد	وبالعرفان يهديك اليسارا

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

●

ابن نباته امير شعراء المشرق

تأليف الدكتور عمر موسى باشا – (؟) صفحة – منشورات دار المعارف بالقاهرة

حين يأتي الحديث عن عصور الانحطاط يتبادر الى الذهن اهمال الباحثين لهذه الفترة التي تمتد قرونا عديدة في تاريخ الادب العربي . وتمثل امام الانسان صورة النقاش المحتدم بين الذين يصرون على تسميتها « عصور الانحطاط » والذين يرفضون هذه التسمية بحجة ان ادب هذه الفترة لم ينفض عنه الغبار ، فربما تكشف عن مذاهب جديدة ، واعلام كانوا طوال القرون الماضية يشكون الاهمال .

والاستاذ عمر موسى باشا دخل هذه العصور وطلع علينا بكتابين، احدهما هذا الذي بين يدي : « ابن نباته المصري امير شعراء المشرق».

لقد اراد الكاتب ان يوفي اديبه حقه من البحث فألم الماما قويا بكل ما كتبته عنه المراجع واستمد منها ومن ديوان الشاعر صورة لابن نباته جعلته اديبا كبيرا وزعيما للشعر في زمانه .

والحقيقة ان للكتاب قيمة تاريخية في استعراض حياة ابن نباته والتعرف على الاشخاص الذين مدحهم موزعين على فترات حياته الست – كما قسمها الكاتب – وهذا يمهد تمهيدا قويا لدراسة فنية تجلو بوضوح المؤثرات في حياة الشاعر والعوامل التي كونت مذهبه الشعري.

وقد وعدنا الكاتب بهذه الدراسة منذ الصفحات الاولى من الكتاب ولكنه اخذ بيدنا الى استعراض تاريخي حافل صور لنا فيه حياة الشاعر مع ممدوحيه ، ثم انتقل الى أدبه فرافقنا العرض التاريخي لاثار المؤلف الشاعر الى ان وصلنا الى الموضوعات الشعرية فاذا بها ثلاثة موضوعات: المديح والرثاء والغزل ، ألم بها الكاتب المامات قصيرة وكانت غايته في كل ما يقول دعم الرأي القائل : « ابن نباته امير شعراء المشرق » حتى لكاننا نشعر بنوع من العاطفة تشد الكاتب الى الشاعر فلا تريه الا الجمال وتطمس نقاط الاساءة مهما كانت بارزة .

فابن نباته زعيم مذهب الرمزية في الشعر العربي . هذا ما لوح به الكتاب منذ صفحاته الاولى وسرنا بنهم نبحث عن هذه الرمزية الجديدة فلم نجدها الا في الصفحات الاخيرة من الكتاب حين وصلنا الى مذهب ابن نباته الرمزي . اما الرمز فهو التورية عند الشاعر والتي تجمع المذهبين الشامي والمصري بشكل طريف رائع ، فترينا التورية بالاسماء والالفاظ وبتضمين اشعار القدماء بحيث تصبح ذات دلالات جديدة لم تكن تحملها في مكانها من الشعر القديم .

وما دام المذهب الرمزي الغربي يعتمد على الايهام في الشعر فالتورية عند ابن نباته اساس الرمزية عنها اخذ الغربيون اصول مذهبهم الجديد . وهكذا فالرمزية ليست شيئا مبتكرا وانما مذهب قديم له قواعد وجذور ترتبط ارتباطا قويا بأصولها من الشعر العربي!

لقد اراد الكاتب – كما قلت – ان يطمس في ادب ابن نباته كل ما يشينه وان يتغنى بشعره كما نتغنى بقصائد فحول الشعراء . ولكننا ،والحق يقال ، وجدناه يغالي في اطراء الشاعر وكيل عبارات المديح له . فالعامية عنده استخدام للمصطلحات الحديثة ومسخه لاشعار القدماء رمزية ، والتلاعب بالالفاظ رمزية ايضا اما الخيال الغزلي السقيم فيجب علينا ان نهتز له طربا !

نحن لا نشك ان ابن نباته كان علما في عصره ولكن هل يحق لنا ان نضعه في مصاف الاعلام الذين يحتلون مكان الصدارة في ادبنا الخالد بمناقشة بسيطة للرمزية لا تصلح حجة على صدق ادعائنا !

واذا اراد الكاتب ان يبحث له عن مكان كهذا فيجب عليه ان ينظر في معانيه وخياله والفاظه ، فاذا وجد شيئا طريفا في هذه الدعائم الثلاث ، التي لا يقوم الشعر بدونها ، استطاع ان يسمي ابن نباته أديبا كبيرا وعندها يحق لنا ان نناقش التورية ونرى هل تؤلف شيئا نادرا في عالم الشعر .

اما والكاتب لم يفعل شيئا من هذا ولم يقارن بينه وبين أي اديب من ادباء عصره فلا يمكن ان يقتنع انسان بصدق نظريته .

وكل من رجع الى شعر الشاعر ، حتى الذي اورده الدكتور عمر باشا امثلة على سبق الشاعر ، سيجد المسخ لاشعار القدماء وفساد الصور وتفشي العامية . وسيجد ان التورية عنده لا تختلف عن التورية عند بقية الشعراء الا من حيث الكم . واذا كان الكاتب يريد ان يجعلها



ظهر حديثاً

● ابو ذر الغفاري – تأليف علي ناصر الدين صاحب قضية العرب – الطبعة الثانية – ١٥٢ صفحة – سلسلة الثائرون العرب في التاريخ – منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت – طبع على نفقة الدكتور توفيق الاعور – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الملك سيف بن ذي يزن – تأليف علي ناصر الدين صاحب قضية العرب الطبعة الثانية – ١٠٤ صفحة – سلسلة الثائرون العرب في التاريخ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت – المطبعة التجارية ببيروت.

● ضائعة في المدينة – رواية – تأليف سلوى هرمز ومظهر الملوحي – الغلاف بريشة زكريا توما – ٤٥٦ صفحة – حجم كبير – منشورات مركز المطبوعات – مطبعة قلفاط ببيروت .

● جراح جديدة – قصة النضال العربي والعدوان الصهيوني الغاشم على الضفة الغربية من ٥ الى ٧ حزيران ١٩٦٧ – تأليف عيسى الناعوري – ١٢٨ صفحة – منشورات مجلة السياحة ببيروت (لم يذكر اسم المطبعة)

● الظامئون – قصة طويلة – تأليف عبد الرزاق المطلبي – تقديم الدكتور ماهر حسن فهمي – الغلاف تصميم جميل حمودي – ٢٤٤صفحة – حجم كبير – سلسلة القصة والمسرحية – منشورات مديرية الثقافة العامة ببغداد – مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● رماد الليل – مجموعة قصص – تأليف عامر رشيد السامرائي – تقديم عبد الله نيازي – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – سلسلة القصة والمسرحية – منشورات مديرية الثقافة العامة ببغداد – مطابع دار الجمهورية ببغداد .

● الماسونية بلا قناع – اعداد وتقديم ابو صادق – ٢٦٤ صفحة – منشورات دار البصري ببغداد – مطبعة دار البصري ببغداد .

● السينما في البلدان العربية – تقرير اعده جورج سادول لليونسكو – (لم يذكر اسم المترجم) – ٢٩٦ صفحة – وملحق من ١٨ صفحة مصورة – حجم كبير – منشورات مركز التنسيق العربي للسينما والتلفزيون في بيروت – المطابع الاهلية اللبنانية بيروت .

● ديوان حسن عبد الباقي الموصلي ١١٠٠ – ١١٥٧ هـ – حققه ونشره محمد صديق الجليلي – ١٣٦ صفحة – حجم كبير – مطبعة الجمهورية بالموصل العراق .

● الاصطياف في حمام العليل – من التراث الموصلي – تأليف محمد صديق الجليلي – ٣٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل العراق .

● خطوات الى الافق البعيد – قصص قصيرة – تأليف برهان الخطيب – ١٥٦ صفحة – حجم صغير – مطبعة اهل البيت في كربلاء العراق .

● الملح في حياتنا وتراثنا – تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بدمشق – ٨٨ صفحة – حجم كبير – الكتاب ١٧ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات – المطبعة السليمية في دير الزور سورية .

● حكايات من بلدتنا – مجموعة قصص – تأليف الدكتور شاكر خصباك – ١٣٢ صفحة – منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت.

● الامام الشاهرودي السيد محمود الحسيني – تأليف السيد احمد الحسيني – ١٠٨ صفحة – حجم كبير – الكتاب الثالث في سلسلة اعلام الامامية – مطبعة البيان ببغداد .

● الكوخ فرس زرقاء – مجموعة شعرية – ظهير كنيفاتي – الغلاف واللوحات بريشة المهندس محيي الدين خطيب – ٢٤٠ صفحة – دار الشرق للنشر والتوزيع (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حمدان – قصيدة في ثلاثة اناشيد – مروان الخاطر – صمم الغلاف مصطفى ي. ارناؤوط – ٦٦ صفحة – منشورات دار الثقافة بدمشق – مطابع الايام بدمشق .

● دروس الحيض والاستحاضة والنفاس – مطابق لفتوى السيد محمود الحسيني الشاهرودي – ٢٨ صفحة – الكتاب الثالث في سلسلة رسائل اسلامية – منشورات مكتبة الشريف المرتضى العامة بالكاظمية العراق – مطبعة الاداب بالنجف الاشرف العراق .

● حياة الشريف المرتضى – تأليف السيد احمد الحسيني – ٤٤صفحة – الكتاب الاول في سلسلة دراسات اسلامية – منشورات مكتبة الشريف المرتضى العامة بالكاظمية العراق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الغضب – مجموعة قصص – تأليف حسب الله يحيى – تقديم محمود العبطة – ٨٠ صفحة – المطبعة العصرية بالموصل العراق .

● كل ما سبق وكتب اعلاه يمكن الاستغناء عنه اذا حققت اشارة واحدة بسيطة الى فعالية البداية من الصفر الواعي – صور ومشاهد وقصص – تأليف مصطفى ابو لبدة – ١٢٨ صفحة – مطابع الخال اخوان وشركاهم ببيروت .

ام المذهب الرمزي الغربي فلا يصح ان نقول ان الغرب اخذ عن ابن نباته ولم يأخذ عن سواه .

اما الايهام الذي يجعله الكاتب اساس الرمزية الغربية فهو في الحقيقة لا يكون الا جزءا بسيطا في هذا الاساس ، وفي اعتقادي انه لا توجد علاقة بين الايهام ، كما يريده الغربيون . والايهام كما يريده شعراء التورية العرب ، فغاية الشاعر العربي حين يوري ليست اكثر من التلاعب بالالفاظ والتفنن في طرق ايرادها في الجمال ولا يقصد من وراء ذلك سوى العبث اما شعراء الغرب الرمزيون فشعراء مغلقون على انفسهم لا يريدون التصريح فيلجأون الى الرمز ، ومتى كانت غاية الشاعر العربي من التورية عدم التصريح بما يريد !

والحقيقة ان الدكتور عمر موسى باشا عمل مشكورا فكشف حياة أديب من ادباء القرن السابع والم بشعره ولكن هذا الالمام طلع علينا بنظرية لا تقوم على اساس نقدي ثابت .

دمشق — سكينة الشهابي

جولة الأديب في شهر

جهاد شعب فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٨
رسالة ماجستير لصالح مسعود بويصير
بقلم الدكتور احمد الشرباصي

« فلسطين » هي اللحن الحزين في حاضر العرب والمسلمين ، ولم يشهد تاريخ العروبة والاسلام مأساة كمأساة فلسطين ، واذا كانت فلسطين في الماضي قد احتلها من اشعلوا نيران الحروب الصليبية الاستعمارية التي حاولت الاختفاء وراء اسم المسيح واسم الصليب ، فان هذا الاحتلال الصليبي لم تبلغ به النكبة مبلغ النكبة التي اصابت العرب باحتلال الصهيونيين لفلسطين ، لان الصليبيين لم يدعوا تملك فلسطين . ولم يزعموا لانفسهم ولا للناس ان فلسطين وطنهم او ملكهم، وكانوا يشعرون في قرارة نفسهم انهم طارئون ، وانهم محتلون ، وانهم - يوما ما - سيرحلون ، واما الصهيونية الباغية الفاجرة فانها اعتدت واحتلت وفجرت فزعمت ان الارض ارضها ، وان الوطن وطنها ، وأن أصحابه الاصليين الشرعيين غرباء يجب ان يخرجوا وان يصبحوا لاجئين مشردين في مشارق الارض ومغاربها .

وقد عاون الصهيونية على ذلك العدوان الاثيم اولئك الذين اعطوا ما لا يملكون لمن لا يستحقون وهم الانجليز الذين ان يستطيع مر العصور والدهور ان يمحو ما فعلوه بالعرب والمسلمين ، ولذلك تستحق فلسطين اكبر عناية من الباحثين ، وليس بكثير عليها - بل من حقها ومن واجبنا نحوها - ان تتوالى الدراسات عن كل جوانب المأساة ، لعل ذلك يكون اسهاما في الشعور بعظم النكبة الذي يلزم ان يؤدي الى القيام بالواجب الجليل : واجب غسل العار ، والاخذ بالثأر ، وتحرير الدار ، واعادة الوطن السليب الى اهليه .

ولعل من توفيق الله سبحانه وتعالى ان يقوم الاستاذ صالح مسعود بويصير المجاهد العربي الليبي بالاسهام في هذا الواجب العلمي القومي بتقديم رسالته للماجستير عن « جهاد شعب فلسطين من سنة ١٩١٧ - الى سنة ١٩٤٨ م » لتفنيد الفرية الضخمة التي رددها اصحاب المآرب والمطالب وهي ان شعب فلسطين قد اهمل في واجبه نحو وطنه أو قصر في الدفاع عنه .

وفي مساء الخميس ١٧ اغسطس سنة ١٩٦٧ شهدت قاعة الامام محمد عبده بجامعة الازهر بالقاهرة جمعا ضخما من قادة العرب والمسلمين ، ومن علماء الازهر الشريف وشباب جامعته ورجال ليبيا والجمهورية العربية المتحدة وغيرهما من أقطار الوطن العربي ، وقد جاءوا ليشهدوا المناقشة العلنية لهذه الرسالة التي قدمها الاستاذ صالح مسعود بويصير للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر - حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب - وقامت الاذاعة اللاسلكية للجمهورية بتسجيل المناقشة لتنقلها الى الملايين في انحاء البلاد العربية وغيرها .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور عبد العزيز الشناوي المشرف على الرسالة واستاذ التاريخ الحديث بجامعة الازهر ، والدكتور محمد رفعت رمضان استاذ التاريخ بجامعة القاهرة ، والدكتور ابراهيم شعوط استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الازهر . وبعد افتتاح المناقشة بذكر الدكتور المشرف للقرارات المتعلقة بالرسالة ذكر عن الاستاذ صالح مسعود انه احد قادة الراي في ليبيا ، ذلك القطر العربي الشقيق الذي يحمل له الشعب المصري اصدق مشاعر الاخوة والمحبة ، وربطت بين الشعبين روابط وثيقة منذ عصور موغلة في القدم ، وجاء الاسلام فعاش الشعبان في ظله الظليل يسودهما التعاطف الاخوي والتضامن العربي .

وكان مما قاله الدكتور الشناوي : ان الاستاذ صالح مسعود ابن بار من ابناء الازهر الشريف نشأ في رحاب الازهر الشريف ، وتخرج في كلية اللغة العربية ، وحصل على الشهادة العالية منها بدرجة « جيد جدا » ولم يقطع صلته بالازهر بعد تخرجه فواصل علاقته باساتذته القدامى ، يكن لهم كل حب وتقدير ، وأعلم ان هؤلاء الاساتذة يبادلونه حبا بحب وتقديرا بتقدير .

ولقد آثر الاستاذ صالح مسعود الابتعاد عن المناصب السياسية ، وتفرغ لخدمة بلاده ، فعمل رئيسا لتحرير جريدة « برقة الجديدة » في بني غازي خلال سنوات الاعداد للاستقلال الليبي عقب الحرب العالمية الثانية ، ثم اسس مجلة الفجر الليبي ، وكان لهذه المجلة فضل الاسهام بقوة في توعية الجمهور الليبي لتظل شعلة الجهاد متقدة لا تخبو ، وبعد ان ظفرت ليبيا بالاستقلال اسس جريدة الدفاع الليبية ، فكانت صوتا حرا نزيها . ودخل مجلس النواب الليبي ، واختير وكيلا له عدة سنوات ، فكان أحد أقطاب المعارضة فيه .

والاستاذ صالح مسعود يمثل طرازا فريدا بين رجال السياسة والصحافة ، فالى جانب اشتغاله في ميدانين يستغرقان الوقت والنشاط والجهد والتفكير ، لم يغفل العلم ، لانه سلاح يتزود به المناضلون في الحقل السياسي والمجال الصحفي ، فعكف على الاستزادة منه ، يصيب منه ما شاء له نهمه العلمي ، وعكف على هذه الرسالة لا يهدف منها الى تحقيق كسب مادي ، او شغل منصب رسمي ، او نحو ذلك من مغانم قد تهفو اليها بعض النفوس ، وقد أتاه الله سعة في المال فاخضع هذه السعة لخدمة بحثه ، فشد رحاله الى لندن عدة مرات ، واطلع على وثائق مهمة تدور حول موضوعه في المتحف البريطاني وفي وزارة الخارجية البريطانية ، وصور هذه الوثائق والحقها برسالته . ثم تردد على بيروت مرات ، مستنبئا مكتبة الجامعة الاميركية فيها حيث تزخر بوثائق مهمة في موضوعه ، وصور منها دستور فلسطين الذي وضعه الانجليز لازهاق عروبة فلسطين وجعلها وطنا قوميا لليهود .

وصالح مسعود يغمره حماس دافق لابراز دور عرب فلسطين في قضية فلسطين ، وهو دور اهمله الباحثون او شوهوه ، حتى صارت الفكرة العالقة باذهان الكثيرين ان الشعب العربي الفلسطيني لم يقم بثورة هادرة عارمة كما فعلت الجزائر فاراد صالح مسعود ان يصحح هذه الفكرة الخاطئة بالشواهد والبراهين .

ومن الطريف ان مجاهدا فلسطينيا هو الاستاذ احمد صدقي الدجاني تقدم منذ سنتين برسالة ماجستير كان موضوعها « الحركة السنوسية في ليبيا » وتكلم فيها عن جهاد الشعب الليبي للحصول على حريته واستقلاله ، وكان صالح مسعود يريد ان يقيم الدليل على ان الامة العربية واحدة متجاوبة ، فهذا فلسطيني يكتب عن ليبيا ، وهذا ليبي يكتب عن فلسطين ، فكأن الحواجز المصطنعة التي صنعها الاستعمار لم تستطع ان تمزق الاواصر المؤلفة بين الشعوب العربية ، وفي مقدمتها اواصر الدين واللغة والفكر .

ومن المواقف الحميدة للاستاذ صالح مسعود انه قد تجاوب مع امته العربية عقب العدوان الصهيوني الاستعماري الاثيم على الارض العربية في يونيو سنة ١٩٦٧ ، فتبرع لصالح المجهود العربي الحربي

بعشرين الف دولار .

وبدأ الاستاذ صالح مسعود بعد تقديم المشرف له بما سبق يعرض رسالته ، وسرني منه انه لم يلجأ الى الطريقة التي يلجأ اليها اكثر الذين يتقدمون برسائل علمية للماجستير او الدكتوراه ، وهي طريقة اعداد العرض مكتوبا ، وتلاوته من اوراق ، فان هذه الطريقة لا احبها ولا استريح اليها ، لانها تظهر صاحبها بمظهر الحاكي او التالي لكلام مسطور امامه ليس غير ، وبذلك تضعف الرابطة العاطفية والتأثيرية بينه وبين مشاهديه وسامعيه ، مع ان المفروض - بل الواجب ان يكون - هو ان صاحب الرسالة ملم بها ، يعيش في موضوعها منذ عهد ملائم ، ويستحضر عناصرها ، ويستطيع ان يعبر عنها باسلوب سليم مبين .

لم يلجأ صاحب الرسالة الى هذه الطريقة ، بل اخذ يعرض رسالته مستعينا بنقاط بحث امامه ، ينظر اليها حينا وينصرف عنها الى ذاكرته احيانا ، وتدفق بيانه في هذا العرض ، فاخذ يتابع القضية الفلسطينية منذ بدايتها حتى حلت النكبة ، وكأنه لا يتحدث بكلمات مسموعة فحسب ، بل يعرض شريطا للاحداث ويعلق عليه بما يجليه ويحدده .

وقد حرص في بداية العرض على ان يذكر الدوافع التي حفزته الى اعداد هذا البحث ، فهو من ليبيا التي ذاقت المرارة القاسية من احتلال الطليان ، وهو يشعر بالوقع الاليم لهذا الاحتلال ، ولذلك يستطيع ان يقدر الظروف التي عاش فيها شعب فلسطين تحت وطأة الانتداب البريطاني وهو عربي مؤمن بان فلسطين جزء من وطنه ، لانه من المؤمنين بوحدة الامة العربية ذات الرسالة الاسلامية الخالدة ، وهو معجب بالابطال من بلده الذين ذهبوا شهداء في سبيل الحرية والكرامة فمن الوطنية ايضا ان يكون معجبا بالابطال من مجاهدي فلسطين ، وهو اخيرا يضيق بالافتراء على شعب فلسطين ، وابناؤه هم اخوته واشقاؤه ، فلا يستطيع الصبر على التحريف والافتراء .

ومن خلال العرض المبسوط الممتد عرف السامعون ان فلسطين عرفت منذ عهد بعيد ، وعلى تعاقب مراحل التاريخ بانها القسم الجنوبي من بلاد الشام « سوريا ولبنان والاردن وفلسطين » وان العرب الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل الميلاد بالفين وخمسمائة سنة ، وظلوا يعمرونها ويحكمونها اكثر من الف وخمسمائة سنة ، حتى سميت حينا من الزمان باسم « ارض كنعان » وان اليهود احتلوا جزءا منها فترة من الزمان ، على حين بقي الكنعانيون محتفظين باجزاء عديدة من فلسطين ، وبعد حين تحطم احتلال اليهود ، وعادت فلسطين عربية ، واستقبلت هجرات العرب من الجزيرة وسوريا ولبنان ، وبعد ربع قرن من الزمان تقريبا من ظهور الاسلام ، فتح العرب فلسطين منقذين لها من ايدي الرومان الذين احتلوها حينا من الوقت ، وظلت فلسطين عربية اسلامية حتى نكبها الانكليز بالانتداب ثم التهويد .

وتبين الرسالة ان « صك الانتداب » قد وضعته في الحقيقة الصهيونية العالمية ، وان اليهودي الامريكي « بنيامين كوهين » كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية سنة ١٩٢٢ وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه ، ومع ذلك جاء الصك يحمل في ظاهره صورة المستند الصادر من جمعية الامم التي الزمت به بريطانيا ، كما لو كانت بعيدة عن وضعه ، ومجبرة على تنفيذه ولكن الايام اثبتت عكس ذلك تماما ، ولذلك كان من التبجيح الوقح ان يقول رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٣٠ « ان عصبة الامم هي التي وضعت صك الانتداب ، وان بريطانيا ملزمة بذلك » ويكفي للتدليل على توقح هذا التبجح ان نجد اريك راموند الانجليزي يقول حين كان في وظيفة السكرتير العام لعصبة الامم : « ان الجمعية لم تضع صك الانتداب ، بل ان الحكومة البريطانية هي التي وضعته بالتفاهم مع اليهود » ولا عجب فهي صاحبة وعد بلفور المشئوم الذي صدر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ والذي اعطى فيه من لا يملك لمن لا يستحق .

وتعرض الرسالة بعض نصوص هذا الصك الاثيم ، لتريك كيف نص فيه واضعوه على التكفل بانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، والاعتراف بهيئة يهودية تشير وتعاون في ادارة فلسطين ، وتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، وتسهيل حصول اليهود على المهاجرين الى فلسطين على الجنسية الفلسطينية ، وصبغ فلسطين بالصبغة اليهودية في كل شيء ، حتى يكون ذلك متمشيا مع كلمة تشرشل السياسي البريطاني الماكر « كا نمن الضروري ان يعلم الشعب اليهودي ان وجوده في فلسطين حق وليس منة » .

ومما يدل على النوايا المجرمة التي انتوتها بريطانيا منذ عهد بعيد نحو فلسطين وعرب فلسطين ان اللورد اللنبي القائد العام لجيوش الحلفاء قد اعلن - قبل ان يتقرر مصير فلسطين في مؤتمر الصلح وقبل ان يحدد المصير الذي ينتظر شعب فلسطين - انه قد وجه الدعوة الى اليهودي البريطاني السير هربرت صموئيل ليساعد على تسوية شئون فلسطين ، وفي يناير سنة ١٩٢٠ اعلن ذلك اليهودي انه ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومته لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وهكذا صار هذا اليهودي الانجليزي اول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين .

وتعرض علينا الرسالة فصلا رائعا عن دستور فلسطين الذي اصدرته انجلترا سنة ١٩٢٢ ، حيث يريك ان هذا الدستور قد نص على انه يجوز للمندوب السامي ان يقسم فلسطين الى اقسام ادارية او الوية ، وتناط به جميع الحقوق في الاراضي العمومية وكافة المناجم او المعادن ، وله ان يهب او يؤجر اي ارض عمومية ، وله ان يعزل اي شخص يشغل وظيفة عامة ، وله ان يعفو عن اي مجرم حتى

ولو كان قد ادين من محكمة ، ويؤلف المندوب السامي مجلساً تشريعيا ، ولكن للمندوب السامي الحق في فض المجلس او حله ، وله الحق في ابقاء او الغاء اي قانون يصدره المجلس ، وله حق التغيير لتشكيل المحاكم الدينية وصلاحيتها ، وله حق اخراج من يشاء من فلسطين ، بل حق الغاء اي حكم من الاحكام الواردة في الدستور ، وان يضيف اليه ما يشاء .

وهكذا فليكن الطغيان الانجليزي ، ولتكن جريمة انجلترة في ايجاد مأساة فلسطين ، فمنذ استولت بريطانيا على فلسطين عام ١٩١٨ اخذت تعمل على تسليم فلسطين لليهود ، مما ادى الى انفجار الثورة العربية في فلسطين في ابريل سنة ١٩٢٠ ، ومع ذلك مضت بريطانيا عن طريق مندوبها السامي اليهودي البريطاني هربرت صموئيل في تهويد فلسطين ، ففتح ابواب المناصب لليهود على الرغم من قلة عددهم بالنسبة الى العرب الاكثرية الغالبة واصحاب البلاد ، حتى صارت مناصب اليهود اربعة اضعاف مناصب العرب ، وسلم ادارة المهاجرة الى مدير يهودي اسمه « هايمون » كما سلم ادارة التجارة ليهودي آخر ، ولم يبق ادارة الا رأسها يهودي ، او ساعد مديرها الانجليزي شخص يهودي ، بحيث نستطيع ان نقول ان الدولة المنتدبة على فلسطين هي اليهود تساعدهم انجلترا .

وبين صاحب الرسالة كيف حارب العرب اليهود والانجليز معا ، واخذ عرب فلسطين الذي لا يجدون سلاحا ولا مناصرة يقاومون اليهود المدربين خلال سنوات طويلة وتساندهم بريطانيا بجيوشها وسلطانها واستمر هؤلاء العرب في ثورة مستمرة ، يفقدون الشهداء بعد الشهداء ، ويصاب منهم الجرحى بعد الجرحى ، ومع ذلك قاوموا ببسالة وهددوا اليهود في كثير من المواقع والمواطن ، وكان عرب فلسطين يحاربون في جبهتين : جبهة مع الانجليز ، وجبهة مع اليهود ، وقامت معارك كثيرة بين العرب من جهة واليهود والانجليز من جهة اخرى في مدن الناصرة وطبرية ونابلس والمجدل ويافا وعكا وصفد والخليل وحيفا والقدس وغيرها من مدن فلسطين وقراها وطرقها وشوارعها ووديانها وسهولها وجبالها والمستعمرات اليهودية فيها .

ويقوم الباحث الاستاذ صالح مسعود بتتبع الصحف والمجلات والمؤلفات والمنشورات والوثائق لتنظم منها سلسلة مستطيلة ممتدة لجهاد شعب فلسطين ضد الصهيونية والانتداب ، ذلك الجهاد العربي الذي اشترك فيه الرجال والنساء ، والشيوخ والشباب ، والزراع والعلماء ، وكل طوائف الشعب العربي في فلسطين ، دون مبالاة بالموت او الاعدام او نسف الانجليز واليهود للقرى ، او الحرمان من الحقوق الفردية والجماعية .

ويصور لك — معتمدا على مختلف المصادر والمراجع — كيف طوقت بريطانيا بقواتها مدن فلسطين وقراها ، بحجة التفتيش عن السلاح وعن المشتركين من العرب في اعمال المقاومة للصهيونية والاحتلال وانزلت بريطانيا بالاهالي خلال عمليات التفتيش اقصى صنوف الارهاب والتعذيب والتنكيل ، فضربت الشيوخ والاطفال ، واعتدت على النساء ، واجهضت الحبالى ، واتلفت المئون واحرقت المزروعات ، واقتلعت الاشجار ، وقتلت الماشية ، ودمرت الاثاث والمقتنيات ، ونسفت البيوت والمنازل ، وفرضت على الاهالي غرامات مختلفة مرهقة .

وتتحدث الرسالة عن شهداء سقطوا من الفلسطينيين في حومة الدفاع عن ارض فلسطين ، امثال الشيخ عبد الحميد وفؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم واحمد حسن القوصي وحسن العريري ومحمود حسان وتتحدث عن الشيخ عز الدين القسام الذي كان داعية من دعاة الاسلام وبطلا من ابطاله ، واشترك في ثورة سورية ضد الفرنسيين ، ثم جاء الى حيفا واتخذ مقامه فيها وجعل يبث روح الجهاد والنضال خلال دروسه الدينية ، ويعلم قومه انه لا كرامة لمسلم يرضخ للاعداء او يعاملهم او يطمئن اليهم ، ومن وراء روح القسام النضالية بدأ المثلث العربي « جنين ، نابلس ، طولكرم » يشهد سيلا من الاغتيالات السرية للضباط الانجليز ونسف القطارات ، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني ، وقتل اي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالا مريبا .

وكانت هذه الاعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفي فترات متعاقبة بنظام وترتيب ، وسرت روح الجهاد بين الشعب ، فتتابع تنظيم التشكيلات السرية ، وزادت متاعب البريطانيين ، وكان الشيخ القسام رجلا مخلصا صادقا ، فربأ بنفسه عن ان يدعو الى الجهاد ولا يجاهد ، او يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، فخرج مجاهدا معهم حتى نال الشهادة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٥ مع فريق منهم ، ورثاه فؤاد الخطيب ، فقال فيه :

اولت عمامتك العمائم كلها ... شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة ... غير الزعامة والطريق امان
ما كنت احسب قبل شخصك انه ... في بردتيه يضمها انسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة ... في الخلد لا عنت ولا احزان
شهداء بدر والبقيع تهللت ... فرحا ، وهش مرحبا رضوان

وتبين الرسالة كيف تابعت امريكا بريطانيا ، فاشتركت معها في الجريمة النكراء التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا ،حيث احتضنت امريكا الصهيونية ، فقد وافق الرئيس الامريكي ويلسون على تصريح بلفور ، وقال في بيان له : « انني مقتنع بان امم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبنا قد اتفقت على انه سترسى في فلسطين اسس كومنولث يهودي » .

وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٢ وقع الرئيس الامريكي « هارون » على قرار الكونجرس الامريكي الذي ينص على تهويد فلسطين ، وفي العام نفسه اعلن اليهود في امريكا انهم سيجمعون ثمانية عشر مليون دولار لجمعيات الوطن القومي في فلسطين ، وقامت مؤتمرات صهيونية عالمية في امريكا ، وفي اثناء المعركة الانتخابية سنة ١٩٤٤ التي كانت بين روزفلت وجون ديوي على كرسي الرئاسة تسابقا في تأييد القرار اليهودي لانشاء دولة يهودية في فلسطين ، وطالب رجال الدين في امريكا بفتح ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصاريعها ، بل المدهش المذهل ان روزفلت فاوض الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٤٥ على اقامة مستعمرات يهودية في ضواحي المدينة المنورة لقاء عشرات الالاف من الجنيهات الذهب ولكن الملك رفض ذلك .

وحينما التقى وايزمان الزعيم اليهودي بالمستر ترومان رئيس الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧ طلب وايزمان راجيا من الرئيس الامريكي ان يدخل تعديلا في مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود فيجعل تقسيم منطقة « النقب » طوليا بدل تقسيمه عرضيا ، فما كان من ترومان الا ان اصدر امره للوفد الامريكي بان يجعل منطقة النقب كلها من نصيب اليهود .

ومن هذا يتضح ان سياسة امريكا كلها كانت تعمل على طرد العرب من فلسطين ، واحلال اليهود محلهم .

ويحدثك الاستاذ صالح مسعود عن الثورات التي توالت من شعب فلسطين ، وكيف ازدادت ضراوة سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ، ثم يحدثك عن جهاد الفلسطينيين عام ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، وعن معركة القسطل ومعركة يافا ومعركة حيفا ومعركة عكا ، وكيف تألفت مجموعات المجاهدين الفلسطينيين ، فهذا هو الجهاد المقدس الذي يقوده عبد القادر الحسيني ، وهذا هو فريق حراس الحرم الشريف الذي يقوده عبد الحميد المدني ، وهذا هو فريق شباب القدس ويقوده بهجت ابو غريبة ومحمد عادل النجار ، وهذا فريق اهل الخليل ويقوده عبد الحليم الشلف ، وهذا هو فريق قرى الوادية ويقوده رشيد عريقات ،

وهذا فريق جيش الانقاذ ويقوده جمال رشيد ، وغيرهم وغيرهم مما ذكرهم بتفصيل .

ومن اروع ما سجله الباحث في رسالته تصويره لبطولة المجاهد العربي الفلسطيني الشهيد عبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل، ويعقد مقارنة مؤثرة بين استشهاد عبد القادر الحسيني واستشهاد موسى بن ابي الغسان ، ذلك انه ـ كما يقول الباحث ـ حينما اجتمع الزعماء في بهو الحمراء الكبير بغرناطة الاندلس ، ليوقعوا عهد التسليم لفرديناند وازابيلا ملك الاسبان وملكتهم ، وليحكموا على دولتهم بالذهاب ، وعلى امتهم بالفناء والمحو ، لبث موسى بن ابي الغسان وحده صامتا عابسا وقال « اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، واني لارى روح الشعب قد خبت حتى ليستحيل علينا ان ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، وانتقاما لمصائب غرناطة ، وسوف تحتضن امنا الغبراء ابناءها احرارا من اغلال السفاح وعسفه ، ولئن لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته ، انه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا الله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .

وصمت موسى ، وساد المجتمعين سكون الموت ، وسرح الخليفة ابو عبدالله البصر ، فاذا اليأس ماثل في تلك الوجوه التي اضناها الالم ، عندئذ صاح : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله ، انا لله ، لقد كتب على ان اكون شقيا ، وان يذهب الملك على يدي » .

وعندما رأى موسى ان الجماعة قد اخذت فعلا في توقيع صك التسليم ، نهض غاضبا وصاح : « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سيوفون بعهدهم ، ان الموت اقل ما نخشى ، فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدها ، وتخريب بيوتنا ، وهناك نساؤنا وبناتنا ، وامامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والاغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمجارف ، هذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الموت ، اما انا فوالله لن ارضى ولن اسلم » .

وغادر المجلس وذهب الى داره فتدجج بكل سلاحه من رأسه الى قدمه ، واندفع يقاتل ويصارع اعداءه ببسالة وبطولة حتى لحق بربه .

ويقارن صاحب الرسالة بين مجلس غرناطة وبين موقف عبد القادر الحسيني مع الذين ذهب اليهم يطلب منهم السلاح ليجاهد به مع رفاقه في انقاذ فلسطين ، فابوا ان يعطوه السلاح ، فصرخ في وجوههم قائلا : « سيكتب التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، اما انا فسأحتل القسطل وسأموت في سبيل الله » وهكذا احتل عبدالقادر الحسيني القسطل ولكنه نال الشهادة فيها .

وقد ابان الاستاذ صالح مسعود ان الشعب الفلسطيني لم يكن سلبيا حين رفض العروض البريطانية الاثيمة التي عرضت عليه، واقام على ذلك الشواهد والدلائل ، واكد ان الشعب الفلسطيني لو قبل ما عرضته بريطانيا لكان معنى هذا ان يكتب الشعب الفلسطيني على نفسه بنفسه تسليم فلسطين الى اعدائه وحاشاه .

ثم تكلم عن قضية الارض وكيف تمسك شعب فلسطين بارضه رغم جور القوانين واللوائح واثقال اوامر المندوب السامي ، وقدم احصائية مستندية ان اليهود لا يملكون من ارض فلسطين ملكا شرعيا الا جزءا ضئيلا لا يؤلف حيا صغيرا في مدينة كبرى ، واثبت صورا من اوامر المندوب السامي لسلب الارض ، كما اثبت قوانين غريبة قائلا انها لا يمكن ان تكون قد اعلنت في غير فلسطين ومنها « ما يبيح للمندوب السامي عدم التقيد بالعدل والمساواة والتشريع العام الا حيث تسمح بذلك الظروف » .

وتحدث ايضا عن الهجرة الفلسطينية وذكر مسوغاتها وقارن بينها وبين هجرات عديدة شهدها التاريخ القديم والحديث .

ثم تعرض الباحث لانحراف البعض من الفلسطينيين ممن لم يكونوا اوفياء لوطنهم ، او ممن تهاونوا في اداء واجباتهم ولكنه اوضح ان انحراف القلة لا يشين الشعوب ولا يطعن الامم ، وضرب الامثلة على ذلك .

ولقد كان الاستاذ صالح مسعود خلال المناقشة متمكنا من موضوعه ، يدلي بمعلوماته الغزيرة عن قضية فلسطين بنواحيها المختلفة ، في بديهة حاضرة ، وبيان قويم ، وادب جم ، وتواضع ملحوظ ، مع اعتزاز بالرأي ودفاع عن الفكرة ، واجاب اجابات رشيدة عن مختلف الاسئلة والاستفسارات التي ابديت سواء أكانت في صميم الموضوع او خارجه ، وحينما احس ان عبارة قد وردت على لسان احد الذين ناقشوه من الهيئة الجامعية تضمنت شيئا من التعريض برأيه في احد الاشخاص ، غضب غضبة ليبية حتى اضطر قائلها الى الاعتذار عنها ..

وبعد اكثر من اربع ساعات صدر قرار لجنة المناقشة وهو منح الاستاذ صالح مسعود بويصير شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر بدرجة « ممتاز » وابدى رئيس اللجنة اسفه لان درجات الماجستير لا يوجد في نظامها « مرتبة الشرف الاولى » وقال ان هذه الدرجة لو كانت موجودة لاستحقها صاحب الرسالة ولاعطيت له ، لان الرسالة مشرفة وهي فخر لجامعة الازهر .

وفي رأيي انه يجب التعجيل بطبع هذه الرسالة الممتازة بوثائقها ، حتى تكون اسهاما فكريا في مناصرة قضية فلسطين التي يتوقف على الفصل فيها مصير الامة العربية .

القاهرة — احمد الشرباصي